محاورات جدلية

ومجالس دينية ورسالة لاهوتية

عني بنشرها

الاب لويس شيخو اليسوعي .

والارشمندريت ايلياس بطارخ الرومي الكاثوليكي

١

ظهرت تباعاً في مجلة المشرق

طُبع في بيروت

في مطبعة الآباء اليسوعيين

سنة ١٩٢٣

S
2

محاورات جدلية

ومجالس دينية ورسالة لاهوتية

عني بنشرها

الاب لويس شيخو اليسوعي

والارشمندريت ايلياس بطارخ الرومي الكاثوليكي

١

ظهرت تباعاً في مجلة المشرق

طُبع في بيروت

في مطبعة الآباء اليسوعيين

سنة ١٩٢٣

المحاورة الدينيّة

التي جرت

بين الخليفة امير المؤمنين المهديّ وطيماثاوس الجاثليق

توطئة

هذه المحاورة شهيرة في تأريخ النساطرة منها عدَّة نسخ في مكاتب اوربّة كباريس ورومية وفي مكتبتنا الشرقيَّة منها نسختان فأحببنا نشرها وهي من أقدم الآثار النصرانيَّة في ايَّام الخلفاء العبَّاسيين. والمهدي المذكور هنا هو الخليفة ابو عبدالله محمَّد بن عبدالله المنصور وثالث خلفاء بني عبَّاس الذي تولّى الامر في بغداد بعد المنصور من السنة ١٥٨ الى ١٦٩ ﻫ (٧٧٥-٧٨٥م) . امّا طيماثاوس فهو طيماثاوس الاوَّل من اعظم جثالقة الكلدان النساطرة الذي دبَّر ملَّتهُ مدَّة ٤٣ سنة في ايَّام الخلفاء المهدي ثمَّ الهادي ثمّ الرشيد الى ايَّام المأمون وتوفّي سنة ٨٢٣م ولهُ مدَّة آثار باللغة الكلدانيَّة نشر منها بعضها بالطبع . ولعلّ المحاورة التي ننشرها هنا اصلها بالكلدانيَّة ثمّ عُرّبت بعد وفاتهِ بزمن . وترى في شروحها ومضامينها من المعاني البليغة والاجوبة السديدة ما يدلُّ على سعة علوم صاحبها ورسوخ قدمهِ في امور الدين رغمًا عن مذهبهِ النسطوري .

وهذه المحاورة في الاصل رسالة وجّهها طيماثاوس الى احد اصدقائهِ يقول فيها هكذا :

انّا قد دخلنا قبل هذه الايام الى حضرة ملكنا المظفَّر وعندما تكلَّمنا عن الطبيعة الالهيَّة وأزليّتها قال لنا الملك ما لم نسمعهُ منهُ قط وهو : ايّها الجاثليق لا يليق برجل مثلك عالم وذي خبرة ان يقول عن الله تعالى انّهُ اتّخذ امرأةً وولَدَ منها ابنًا

فجاوبناهُ قائلين : يا ايّها الملك محبّ الله من هو ذاك الذي أتى بكذا تجديف عن الله عزّ وجلّ ؟

فحينئذٍ الملك المظفّر قال لي : فماذا تقول اذًا عن المسيح ؟ مَن هو ؟

فجاوبنا الملك قائلين : انّ المسيح هو كلمة الله الذي ظهر بالجسد لاجل خلاص العالم

ثم سالني ملكنا المظفّر : أمَا تعتقد ان المسيح هو ابن الله ؟

فقلتُ : انّا نعتقد ذلك دون شكّ لان هكذا تعلّمنا من المسيح نفسهِ اذ هو مسطور عنهُ في الانجيل والتوراة والانبياء انّهُ ابن الله لكنّ ولادتهُ ليست كالولادة الجسديّة

بل هي ولادة عجيبة تفوق ادراك العقل ووصف اللسان كما يليق بالولادة الالهية

فسأل ملكنا المظفر : وكيف ذلك ؟

فقلنا ان المسيح هو ابن الله ومولود قبل الدهور فلا نستطيع ان نفحص عن هذه الولادة ولا ان ندركها لان الله غير مُدرَك في جميع صفاته . ولكن نأتي بتشبيهٍ ما مأخوذٍ من الطبيعة فكما تتّلد الاشعّة من الشمس والكلمة من النفس هكذا المسيح بما انه كلمة الله ولد من الاب قبل الدهور

فقال لي ملكنا المظفّر : أمَا تقولون ان المسيح وُلد من مريم البتول ؟

فجاوبنا قائلين : اننا نقول ونعتقد بان المسيح مولود من الآب بما انّه كلمتهُ ومولود من مريم العذراء بما انهُ انسان . فولادتهُ من الآب هي ازلية قبل كل الدهور وولادتهُ من مريم هي زمنيّة دون أب ومن غير زواج وبدون انثلام بتولية امّهِ

فملكنا محبّ الله قال لي : ان ولادة المسيح من مريم بغير زواج هي مكتوبة ومقرَّرة ولكن كيف يمكن ان تكون هذه الولادة دون انثلام بتولية الوالدة ؟

فجاوبنا الملك وقلنا : ان هذا الامر نظرًا الى الطبيعة هو محال وغير ممكن ان يصير دون انثلام البتولية . ولا يمكن ان يتّلد انسان ولا ان يُحبَل بهِ اصلًا بغير اشتراك رجل مع امرأة . واماَّ نظرًا الى قدرة خالق الطبيعة فمستطاع اي ان البتول تلد بدون انثلام بتوليتها لان الله سبحانهُ قادر على كلّ شيءٍ وليس عندهُ امر عسير

ولنا برهان على ذلك في الكتاب وفي الطبيعة اللّذين يُوضحان لنا انّهُ تمكن ولادة انسان دون انثلام بتولية الوالدة : (اوّلًا) من الكتاب قد سُطّر ان حوّاء قد أُخرجت من ضِلَعَة آدم دون ان تنشقّ تلك الضلعة . والمسيح عليهِ السّلام قد صعد الى السماء دون ان يشقّ الجَلَد(١) . فهكذا مريم البتول ولدت ابنها دون ان تنثلم بتوليتها ويعتريها ضرر . (ثانيًا) من الطبيعة فان الاثمار تولد من الاشجار والنظر من العين والروائح من الزهور دون انشقاق وانفصال بعضها من بعض . وكذا تتّلد الاشعة من الشمس . فعلى هذا المنوال قد ولد المسيح من مريم دون ان تنثلم بتوليتها . وكما انَّ ولادتهُ الازليّة فائقة عن العقل هكذا ولادتهُ الزمنية هي عجيبة

(١) هذا محمول على اعتقاد القدماء بأنَّ السماء شبه الزجاج الهيولي . وكان الاولى بهِ ان يذكر خروج المسيح من قبرهِ والقبر مختوم ودخولهُ العليّة والابواب مقفلة

فقال لي ملكنا : كيف ذلك؟ أأزليٌّ ولد زمنيًا ؟

فجاوبنا قائلين : ان المسيح ليس بما انّه ازليٌّ مولودًا من مريم بل بما انّه زمنيٌّ وبشريٌّ

فحينئذٍ قال لي ملكنا المظفّر : فالمسيح اذًا هو اثنان الواحد زمنيٌّ والآخر ازليٌّ . فالازلي هو إله من إله حسب قولك والزمني هو انسان من مريم

فجاوبنا قائلين : ايّها الملك ان المسيح ليس باثنين ولا بأبنين بل مسيحٌ واحد وابنٌ واحد ذو طبيعتين إلهية وانسانيّة من حيث هو كلمة الله واتخذ جسدًا بشريًّا وصار انسانًا

وعندها قال الملك : بل المسيح هو اثنان الواحد مخلوق ومصنوع والاخر ليس بذلك

فقلتُ لهُ : انّنا نقرّ بان المسيح ذو طبيعتين مميّزتين احداهما من الاخرى ولكن نعتقد ايضاً ونقرُّ انّهُ من هاتين الطبيعتين مسيح واحد وابن واحد يُعرَف

وملكنا جاوبنا قائلًا : فان كان المسيح واحدًا فليس باثنين وان كان اثنين فليس بواحد

امَّا نحن جاوبناهُ على ذلك بهذا البرهان وهو : كما ان الانسان هو واحد من جهة التركيب والاتحاد وهو اثنان ايضاً من جهة النفس والجسد اللّذين هما طبيعتان مميّزتان احداهما مركّبة ومنظورة والاخرى بسيطة غير منظورة . هكذا كلمة الله بتجسّدهِ صار ذا طبيعتين مميّزتين احداهما إلهيّة والاخرى انسانيَّة كما قلنا . ومع ذلك لا يزال ان يكون مسيحاً واحدًا وابناً واحدًا من أجل وحدانيّة شخصهِ

فملكنا المظفَّر قال لي : اما قال عيسى عليهِ السلام انني سأنطلق الى إلهي وإلهكم؟

ونحن جاوبنا قائلين ان مخلّصنا اتى بهذه الآية حقيقةً ولكن توجد آية اخرى مسطورة قبلها التي تستحقُّ الذكر وهي (يوحنا ٢٠ : ١٧) : « انني سامضي الى ابي وابيكم والى إلهي وإلهكم »

فقال ملكنا : انّهُ يوجد تناقض ههنا كيف يمكن ذلك ؟ فان كان اباهُ فليس بإلههِ . وان كان إلههُ فليس بابيهِ

فنحن جاوبناهُ قائلين : ايُّها الملك محبَّ الله لا يوجد هنا تناقض البتَّة لانهُ بما انّهُ ابوهُ طبيعيًّا فليس هو إلههُ بالطبيعة . وبما انّهُ إلههُ بالطبيعة فليس هو اباهُ طبيعيًّا . بل هو

ابوهُ بالطبيعة الالهية اذ هو وَلدَهُ ازليًّا كاتّلاد الاشعّة من الشمس والكلمة من النفس وهو ايضاً إلهُ نظرًا الى الطبيعة البشريّة اذ هو مولود من مريم زمنيًّا . فواحد هو المسيح ولهُ والدان احدهما ازليٌّ والآخر زمنيٌّ

فملكنا المظفّر قال لي: كيف يمكن ان الرّوح يَلِد اذ ليس لهُ اعضاء الولادة؟

جاوبناهُ: كيف يمكن ان الرّوح يخلق اذ ليس لهُ اعضاء فاعليّة؟ فكما انّهُ خلق البرايا بدون هذه الاعضاء هكذا ولد الكلمة دون اعضاء الولادة . ومثلما ان الشمس تلد الاشعّة من النور دون اعضاء فاعليّة هكذا الله عزّ وجلّ قادر ان يلِد ويَخلُق ولو انّهُ روح بسيط محض وغير مركّب فيلد الابنَ ويُصدر الروحَ من جوهرهِ كما ان الشمس تُصدر النور والحرارة

ثم قال لي ملكنا: أتؤمن بالآب والابن والروح القدس؟

فجاوبتهُ: نعم

فقال لي: فانّك اذًا تؤمن وتعتقد بثلثة آلهة؟

فجاوبناهُ قائلين: ايّها الملك ان الاعتقاد بهذهِ الاسماء الثلاثة هو الاعتقاد بثلثة اقانيم اعني الآب والابن والروح القدس الذين هم إِله واحد وطبيعة واحدة وجوهر واحد كذا نؤمن ونعتقد على ما علّمنا صريحاً عيسى عليهِ السلام . وتعلّمنا ذلك ايضاً من الانبياء ولنا برهان على ذلك في المخلوقات . فكما أنَّ ملكنا محبَّ الله هو واحد مع كلمتهِ وروحهِ وليس بثلثة ملوك ولا يمكن ان ينفصل منهُ كلمتهُ وروحهُ ولا ان يسمّى ملكاً دون الكلمة والروح هكذا الله تعالى انّهُ واحد مع كلمتهِ وروحهِ وليس بثلاثة آلهة اذ لا يمكن ان ينفصل منهُ الكلمة والرُّوح . كذا الشمس مع اشعّتها وحرارتها هي واحدةٌ وليس بثلاث شموس .

حينئذٍ قال لي الملك: بل ينفصل الكلمة والروح من الله

فجاوبناهُ: حاشا وكلّا فكما ان الاشعّة والحرارة لا تنفصلان من الشمس قطعاً هكذا كلمة الله وروحهُ لا ينفصلان منهُ ابدًا . وكما انّهُ اذا انفصلت اشعّة الشمس وحرارتها منها يزول نورها وحرارتها ولا يمكن ان تُدعى شمساً هكذا الله سبحانهُ اذا انفصل منهُ الكلمة والروح يكون لا ناطقاً ولا حيًّا . واماَّ الناطق فلا يقال عنهُ انهُ معدوم الحياة والروح . فان تجاسر احدٌ وقال عن الله انهُ كان موجودًا في زمانٍ ما دون

الكلمة والروح فقد جدّف لان الله سبحانهُ منذ الازل كان لهُ الكلمة مولودًا كينبوع النطق وكان ينبثق منهُ الروح سرمديًّا كينبوع الحياة

وملكنا قال لي: هل لك بيّنات كتابيّة على ان الكلمة والروح كانا في الله منذ الازل؟

فجاوبناهُ قائلين: لنا على ذلك بيّنات شتى: (اوّلًا) من كتُب الانبياء قد قال داود النبي (مزمور ٣٢: ٤): «بكلمة الرب صُنعتْ السموات وبروح فيهِ كل جنودها». وقال ايضًا (في مزمور ٥٦): «أُسبّح لكلمة الله». ثم اذ يعلّم عن قيامة الاموات يقول (مز ١٠٣: ٣٠): «تُرسِل روحك فتُخلَق وتجدّد وجه الارض» فهنا لم يكن داود النبي ليمجّد ويسبّح للخليقة ولا يُسمّي المخلوق والمجبول خالقًا ومجدّدًا. وفي مكان آخر يتكلّم عن كلمة الله انهُ ليس لهُ بداية ولا نهاية اذ يقول (مز ١١٨: ٨٩): «الى الابد يا رب كلمتُك مثبتة في السموات» وهكذا ايضًا اشعيا النبي مثل داود يتكلم عن كلمة الله اذ يقول (اش ٤٠: ٨): «يبس الحشيش وذبل الزهر واما كلمة الهنا فتدوم الى الأبد»

(ثانيًا) من الانجيل المقدس (يوحنا ١: ١): «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله». ثم عن الروح يقول هكذا (يو ١: ٤): «فيهِ كانت الحياة والحياة كانت نور البشر». اعني في الله الكلمة والحياة يريد بها الروح. واما قولهُ «كان الكلمة» لا يشير بذلك أنّ لهُ بداية بل يعني انّهُ كان قبل الدهور. ثم بالكلمة لا يدلّ على خلقتهِ بل على ازليته على انهُ غير مخلوق. واذا كان الروح هو الحياة فالحياة موجودة في الله منذ الازل فالروح اذًا موجود في الله ازليًّا وروح الله هو حياة ونور للبشر

ثم عيسى عليهِ السلام لما كان يخاطب اباهُ قال (يوحنا ١٧: ٥): «الآن مجّدني يا ابتاه بذلك المجد الذي كان لي عندك من قبل انشاء العالم». فبهذا يثبت انّهُ كان لهُ مجدٌ قبل كل الخلائق وليس لمجده بداية من حيث يقول «بذلك المجد الذي كان لي عندك قبل انشاء العالم». وحينما عرّج الى السماء أمر الحواريين قائلًا (متّى ٢٨: ١٩): «اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمّدوهم باسم الآب الابن والروح القدس». فعيسى عليهِ السلام لم يكن ليُحصي المخلوقات مع الخالق ولا الذي هو زمنيّ مع الذي

ليس لهُ بداية ولا نهاية . وكما ان الاشياء المختلفة بالطبيعة كالشمس والحجر والفرس واللؤلؤ والنحاس الخ لا يحصيها المنطقيّون بعضها مع بعض بل يعدّون مثلًا ثلثة لآلئ مع بعضها او ثلثة نجوم مساوية لبعضها بالطبيعة وتشبهُ بعضها بعضاً في كل شيءٍ هكذا المسيح لم يقدر ان يعدّ الكلمة والروح مع الله لو لم يعرف انهما متساويان بالطبيعة والّا كيف يمكن ان يساوي اللهَ بالاكرام والسلطان الملكي ذاك الذي ليس هو إله بالطبيعة . وهل يشترك بالجوهر من هو زمنيّ مع الازليّ اذ ليس للعبيد ان يشتركوا بالاكرام الملكي بل للبنين

ثم قال لي ملكنا : ايُّ تمييز يوجد بين الابن والروح وكيف إنّ الابن ليس بالروح والروح ليس بالابن اذ لا يوجد فرق عند الله بان يكون مُولِدًا او مُصْدِرًا لانك قلتَ « انهُ بسيط وغير مركّب »

فجاوبناهُ قائلين : ايُّها الملك إنّ الاقانيم نظرًا الى الجوهر لا يوجد بينهم تمييز البتة ولكن نظرًا الى بعضهم بعض يوجد هذا التمييز وهو إنّ الواحد لهُ خاصّة ان لا يولد والآخر أن يولد والاخر ان ينبثق فالآب هو مبدأ للابن والروح القدس معاً فيلد ذاك ويُصدر هذا منذ الازل وذلك ليس بانفصال وانقسام جسميّ ولا بواسطة الاعضاء المولّدة والمُصْدرة على ان الله ليس بمركّبٍ ولا بجسم . والانفصال والاعضاء تُقال عن الاجسام وكل جسم هو مركّب فاذًا الانفصال والاعضاء هي مختصة ايضاً بالاشياء المركّبة والاجسام . والله ليس بذلك فاذًا لا يمكن ان يعتريهُ تعالى شيءٌ من الانفصال والانقسام المذكورَين . ولنا تشبيه آخر في الطبيعة وهو إنَّ من النفس تتَّلد الكلمة وتصدر المحبَّة دون انفصال وبلا واسطة الاعضاء والمحبة مميَّزة عن الكلمة والكلمة ليست بالمحبة . وكذا الشمس فانَّها تُصدر النور والحرارة وليس ذلك بانفصال او باعضاء مخصصة فالنور يتَّلد كلهُ من الشمس كلّها والحرارة تصدر من دائرة الشمس كلّها . ثمَّ انَّ الكلمة والمحبة باسرهما موجودتان عند النفس . والنور والحرارة كذلك هما عند الشمس ولا يختلط النور بالحرارة ولا الحرارة تختلط بالنور . وكذا الكلمة والروح الواحد يتَّلد والاخر يصدر من الله الآب ليس بانفصال ولا بواسطة اعضاء مخصصة بل بنوع غير مدرَك وغير محدّد والابن لا يكون الروح والروح لا يكون الابن نظرًا الى خاصَّتهما . ثم كما ان الرائحة والذوق يصدران من التفَّاحة فليس الرائحة

تصدر من جزء والذوق من جزء اخر بل كلاهما يصدران من التفاحة كلها فالذوق لا يكون الرائحة ولا الرائحة تكون الذوق . هكذا يتّلد الابن من الآب ويصدر منهُ الروح بنوع غير محدّد اعني الازلي يخرج من الازليّ وغير المصنوع يصدر من غير المصنوع فالآب والابن والروح القدس لا ينفصلون من بعضهم بعض ولا يمتزجون ولا يختلطون ويتميّزون بالاقانيم ويتساوون بالطبيعة لان الله تعالى هو واحد بالجوهر والطبيعة ومثلّث بالاقانيم

ثم قال لي ملكنا : ان كان الاقانيم لا ينفصلون ولا يفترقون من بعضهم بعض فاذاً الآب والروح القدس تجسّدا مع الكلمة ؟

فجاوبنا قائلين : كما ان كلمة الملك اذا اتّحدت اي سُطّرت في القرطاس ليس يقال عن نفسهِ وذهنهِ انهما اتّحدا اي رُسما في القرطاس مع ان نفسهُ وذهنهُ لاينفصلان من كلمتهِ . هكذا كلمة الله اتّخذ جسداً من دون ان ينفصل ويفترق من الآب والروح القدس ولا يقال عن الاب والروح القدس انّهما اتّخذا جسداً . وكما ايضاً ان الكلمة التي تتّلد من النفس تلبس الصّوت بواسطة مفعولات الهواء من دون ان تنفصل من النفس والذهن . ولا يقال عن النفس وعن الذهن انهما لبسا الصوت اذ لا واحد يقول قطّ «انني سمعتُ نفس فلان او ذهن فلان» بل يقول «سمعت كلمة فلان التي ليست بعيدة عن النفس والذهن ولا تنفصل وتفترق منهما» . كذا كلمة الله اتّخذ جسدنا ولا انفصل ولا ابتعد عن الآب والرُّوح ولا يقال قط عن الآب والرُّوح انهما لبسا الجسد مع الكلمة

وبعد ما شرحنا ذلك قال لنا ملكنا : من هو رأسك ومرشدك ؟

جاوبتهُ : انهُ يسوع المسيح عليهِ السلام

ثم سألني الملك : هل ان المسيح كان مختتناً ام لا ؟

فجاوبتهُ : نعم

فقال لي الملك : لماذا اذاً انت لا تختتن اذا كان رأسك ومرشدك يسوع المسيح قد اختتن فيلزمك من الضرورة ان تختتن انت ايضاً

فجاوبتهُ قائلاً : ايها الملك ان يسوع المسيح قد اختتن واعتمد ايضاً وختانتهُ كانت بعد ثمانية ايام حسب امر الناموس وعمادهُ صار بعد ثلاثين سنة تقريباً وابطل

الختانة بعماده فالمسيح حفظ الناموس كلهُ ليجذب اليهود الى الخلاص وانا لستُ ملتزماً بان أحفظ الناموس الّا الانجيل . فلأجل ذلك ولو كان المسيح قد اختتن فانا لا اختتن بل اعتمد بالماء والرّوح مثلهُ واعتقد بهِ لأن المسيح اعتمد فالضرورة تلزمني بالعماد وبذلك اترك الظلمة والرمز واتبع الاصل والحقيقة

ثم سألني الملك : كيف ابطل يسوع عليهِ السلام الختان وما هو الرمز الذي قلت عنهُ ؟

فجاوبناهُ : ايّها الملك انَّ التوراة باسرها كانت رمزًا للانجيل . والذبائح التي كانت مسطورة في الناموس كانت رمزًا لذبح المسيح . ثم الكهنوت وحبريّة الناموس كانتا رمزًا لكهنوت المسيح وحبريّتهِ والختانة الجسديّة كانت رمزًا لختانته الروحيّة . وكما ابطل بانجيلهِ التوراة وبذبحهِ الذبائح وبحبريّتهِ الحبريّة الناموسيَّة هكذا قد ابطل الختانة التي كانت تكمل بفعل الايادي البشريّة بختانتهِ (اي بعمادهِ) التي لم تصرْ بفعل ايادي البشر بل بقوَّة الروح القدس وهي سرٌّ من أسرار ملكوت السماء ورمزٌ عن القيامة من بين الاموات

فقال لي ملكنا : اذا كان عيسى عليهِ السلام أبطل الناموس وجميع اوامرهِ فاذًا كان عدوًّا لهُ ومضادًّا لان المضادَّة تقال عن الاشياء التي تنقض بعضها بعضاً ؟

فجاوبناهُ قائلين : كما انَّ ضياء النجوم يبطل بنور الشمس والافعال الطفوليّة بافعال الرجوليَّة والكمال والملكوت الارضي بالملكوت السماوي فلا يقال انَّ الشمس هي مضادة للنجوم او الانسان لذاتهِ او ملكوت الله للملكوت البشر هكذا لمّا ابطل عيسى عليهِ السلام الناموس الموسوي بانجيلهِ ليس هو مضادًّا لهُ ولا عدوًّا

فملكنا قال لي : من حين ولادة عيسى عليهِ السلام الى صعودهِ الى السماء اين كان يصلّي ويسجد أليس في البيت المقدس وفي اورشليم ؟

فجاوبناهُ : نعم

فقال لي الملك : فلماذا انت تسجد وتصلّي لله في المشرق ؟

فجاوبناهُ : ايها الملك إنَّ السجدة الحقيقية هي التي تصير من البشر لله في ملكوت السماء وان الفردوس الارضي كان رمزًا عن الجنة السموية والحال ان الفردوس كان

في الشرق فاذًا بالصواب نحن نسجد ونصلّي في المشرق حيث كان الفردوس الارضي الذي كان رمزًا عن الجنّة كما قلنا (١

حينئذٍ قال لي ملكنا : ماذا تقول عن عيسى عليهِ السلام هل صلّى هو ايضاً وسجد ؟

فجاوبناهُ :نعم هو ايضاً صلّى وسجد

ثم قال لي ملكنا : انك بهذا القول تنكر لاهوت المسيح . ان كان قد صلّى وسجد فليس بإله وان كان إلهًا فلم يصلّ ولم يسجد؟

فجاوبناهُ : بما انهُ اله لم يسجد ولم يصلِّ بل لهُ يُسْجدَ ويُصلّى . وبما انه انسان سجد وصلّى وقد بيّنَّا آنفاً انهُ اله وانسان معاً

بعد ذلك ملكنا انتقل من هذا البحث الى موضوع آخر وقال لي: ما هو السبب انك تقبل المسيح والانجيل من شهادة التوراة والانبياء ولست تقبل شهادة المسيح والانجيل عن محمّد عليهِ السلام؟

فجاوبتهُ قائلًا : ايّها الملك انّنا اقتبلنا عن المسيح شهاداتٍ كثيرة من التوراة والانبياء جميعهم يشهدون اتّفاقاً على ذلك تارةً يشهدون عن امّهِ قائلين (اشعيا ٧ : ١٤) : «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً» . ومن ذلك نعلم انهُ قد حُبل بهِ ووُلد من دون اقتران رجلٍ مع امرأة كذا كان يليق بكلمة الله الذي وُلد من الآب دون امّ أن يولد من امّ دون ابٍ لتكون ولادتهُ الثانية شهادة عن ولادتهِ الاولى . وتارةً يصرّحون لنا فيقولون انّهُ (اش٧ : ١٤و٩ : ٦) «يُدعى اسمهُ عمانويل وعجيباً ومشيرًا وإلهاً قديرًا رئيس العالم» . وتارةً يتكلمون عن عجائبهِ ومعجزاته هكذا (اش ٣٥ : ٤—٦) : «ها ان إلهكم يأتي منتقماً وجزاء الله نفسه يأتي ويخلصكم حينئذٍ تتفتح عيون العميان وتتفتح آذان الصُمّ حينئذٍ يقفز الاعرج مثل الغزال ويترنّم لسان الابكم » . وتارةً يعلّمونا عن آلامهِ قائلين (اشعيا ٥٣ : ٥) : « هو يُذبح لاجل خطايانا ويتضع لاجل آثامنا » . ثم عن قيامتهِ يقولون (مز ١٥ : ١٠) : «لانك لم تترك

---

١) كانت عادة المؤمنين لاسيّما الشرقيين ان يتّجهوا في صلاتهم الى الشرق لظهور السيّد سيح في الشرق ولأن النبي زكرياً (٦ : ١٢) دعاهُ باسم المشرق وإنّما هذا من باب اللياقة ليس ملن باب الفرائض

نفسي في الجحيم ولم تعطِ لصفيك ان يرى الفساد» وقال (مز ٢: ٧): «والرب قال لي انت ابني وانا اليوم ولدتك». ثم عن صعوده الى السماء قيل (في مز ٦٧: ١٩): «صعد تَ الى العلاء وسبيت سبياً وقبلت مواهب لبني البشر»: وايضاً: (مز ٤٦: ٦) «صعد الله بالمجد والرب بصوت البوق». وفي محل آخر قيل عن مجيئهِ الثاني من السماء (دانيال ٧: ١٣—١٤): «وكنتُ ارى في رؤيا الليل واذا مع سحاب السماء مثلُ ابن بشر جاء ووصل الى القديم الايام وقدَّموهُ الى قدامه فأُعطيَ سلطاناً وكرامةً وملكوتاً لتتعبّد لهُ كل الشعوب والامم والالسنة ان سلطانهُ سلطان ابدي لن ينزع وملكوتهُ لن ينقضي». فهذه الآيات وغيرها كثيرة تشهد جلياً عن يسوع المسيح. ولكن لم أرَ البتة آية واحدة في الانجيل او في الانبياء وغيرهم تشهد عن محمد وعن اعماله واسمه.

حينئذٍ ملكنا الحليم الوديع اشار اليَّ ان لا اقول اكثر من هذا. ثم سالني تكراراً الم ترَ شهادةً عن محمد عليهِ السلام ؟

فجاوبتهُ: كلّا ايّها الملك محب الله

فسالني: ومن هو الفارقليط[1] ؟

فجاوبتهُ: ان الفارقليط هو روح الله

فسألني الملك: وما هو روح الله ؟

فجاوبتهُ: انَّ روح الله هو الله ذو الطبيعة الالهية ولهُ خاصة ان ينبثق كما علمنا عنهُ يسوع المسيح

وملكنا المعظم قال لي: ومن هو الذي تكلم عنهُ عيسى عليهِ السلام ؟

فجاوبتهُ: ان المسيح قال لتلاميذهِ لمَّا صعد الى السماء «أرسل لكم الروح الفارقليط الذي ينبثق من الآب الذي العالم لم يقدر ان يقبلهُ وهو عندكم وفي وسطكم الذي يعرف كل شيء ويفحص كل شيء حتى اعماق الله وهو يذكّركم بجميع الحقّ الذي قلتهُ لكم. ذاك يمجدني لانه ياخذ ممّا لي ويخبركم» (يوحنا ١٦: ١٤)

فملكنا قال لي: هذه جميعها تدل عن مجيء محمَّد عليهِ السلام

فجاوبتهُ قائلًا: ان كان محمد هو الفارقليط فالفارقليط هو روح الله فاذاً محمد

---

١) فارقليط لفظة يونانيّة (Παράκλητος) وردت مراراً في الانجيل ومعناها المحامي والمعزّي وقد زعم بعض المسلمين انها تصحيف (περικλυτός) بمعنى الشهير اي محمَّد

هو روح الله . وروح الله ليس بمحدود كآدم فاذاً محمّد هو غير محدود . والذي هو غير محدود لا يُدرَك بالنظر فاذاً محمد لا يُدرك بالنظر . والذي هو غير مدرك بالنظر هو غير مجسّم فاذاً محمّد هو غير مجسّم . والذي هو غير مجسّم هو غير مركّب فاذاً محمّد هو غير مركّب . وان كان محمّد هو مركّب ومجسّم ومنظور ومحدود فليس هو بروح الله والذي ليس هو بروح الله ليس هو الفارقليط فاذاً محمّد ليس هو الفارقليط . ثم ان الفارقليط هو من السماء ومن طبيعة الآب ومحمّد هو من الارض من طبيعة آدم فاذاً محمّد ليس بالفارقليط . والفارقليط ايضاً يعرف أعماق الله (١ كور ٢ : ١٠) ولكن محمّد يعترف بانهُ يجهل ايضاً الامور التي تُصنع بهِ وبالذين يؤمنون بهِ فاذاً محمّد ليس هو الفارقليط . ثم ان الفارقليط كان مع الحواريين وفي وسطهم كما قال المسيح اذ كان يخاطبهم (يو١٤ : ٥٧) ومحمد لم يكن مع الحواريين ولا في وسطهم . فاذاً ليس هو بالفارقليط . وايضاً ان الفارقليط بعد عشرة ايام لصعود عيسى عليهِ السلام الى السماء تظاهر للحواريين (اعمال٢ : ١—٤) ومحمّد ظهر بعد ستمائة سنة ونيّف فاذاً محمّد ليس بالفارقليط . وايضاً ان الفارقليط علّم الحواريين عن الله انهُ بثلثة اقانيم (يو١٦ : ١٣) ومحمّد لا يعتقد بذلك فاذاً ليس هو بالفارقليط . ثم ان الفارقليط قد صنع على ايادي الحواريين معجزات كثيرة وآيات متعدّدة ومحمّد لم يصنع آية واحدة على ايدي اصحابهِ وتابعيهِ فاذاً ليس هو بالفارقليط . ثم ان الفارقليط هو مساوٍ للآب والابن بالطبيعة ومن ذلك يُعرف انهُ ايضاً خالق القوّات السماوية مثلما قال داود النبي عن روح الله (مزمور ٣٢ : ٦) : « وبروحهِ خُلقت جميع القوات السموية والارضيَّة» والحال ان محمدًا ليس هو بخالق فاذاً ليس هو بالفارقليط . فلو كان صار لهُ ذكرٌ في الانجيل لكان ينبغي ان يصرّح عن مجيئهِ واسمهِ وذكر امّتهِ وشعبهِ في الكتب كما يوجد محرّرًا عن مجيء عيسى عليه السلام في التوراة والانبياء بنوع واضح فلا شيء من ذلك مذكور عنهُ البتة وليس لهُ ذكرٌ في الانجيل قط

وملكنا محب الله قال لي : كما صنع اليهود في عيسى عليهِ السلام وما قبلوهُ هكذا فعل النصارى ايضاً في محمّد عليهِ السلام ولم يقبلوهُ

فجاوبتهُ قائلًا : ان اليهود اذ لم يقبلوا المسيح استحقُّوا الجزاء والقصاص لان التوراة والانبياء مشحونة من البراهين والشهادات عنهُ ولكن نحن لم نقبل محمّدًا من

حيث ليس لنا برهان واحد عنهُ في كتبنا فلذلك ليس لنا ذنب في هذا

فالملك قال لي: كانت موجودة في كتبكم براهين وشواهد كثيرة عن محمّد عليهِ السلام ولكنكم أفسدتم الكتب وحرَّفتموها

فجاوبتهُ قائلًا: ايّها الملك من اين لكم معلومات بانّنا حرّفنا الكتب واين يوجد ذاك الكتاب الخالي من التحريف الذي علمتم منهُ انّنا قد حرَّفنا كتابنا؟ ائتُوا بهِ لنراهُ ونتمسَّك بهِ ونترك الكتاب المحرَّف. فمن اين اذًا تعرفون بان الانجيل هو محرَّف وأيّة فائدة كانت لنا من تحريفهِ؟ فلو وُجد ذكرُ محمّد في الانجيل لَما كنَّا نرفع اسمهُ منهُ بل كنَّا نقول: انّهُ لم ياتِ بعدُ وليس هو هذا الذي تقولون انتم عنهُ بل مزمع ان يأتي كما ان اليهود لم يستطيعوا ان يحذفوا اسم عيسى عليهِ السلام من التوراة والانبياء بل يخاصمونا قائلين: ان المسيح لم يأتِ بعد الى العالم بل سوف يأتي وبذلك يشبهون العميان الذين ليس لهم عيون وينكرون ظهور الشمس في نصف الظهر. هكذا نحن ايضاً لم نكن نستطيع ان نرفع اسم محمّد من الكتاب بل كنّا نحاججكم عن الزمان وعن الشخص كاليهود. ولكن اقول الحقّ لو رأيتُ نبوّة واحدة في الانجيل عن مجيء محمّد لتركتُ الانجيل وتبعتُ القرآن وكنت انتقل من هذا الى هذا كما انتقلتُ من التوراة والانبياء الى الانجيل

ثم ملكنا قال لي: ماذا تقول عن كتابنا اليس هو منزلًا من الله؟

فجاوبتهُ قائلًا: ان كان منزلًا من الله لا استطيع ان احكم بذلك ولكن اقول ان كلام الله المسطور في التوراة والانبياء والانجيل والحواريّين قد تثبَّت كلهُ بآيات ومعجزات كما لا يخفى ايضاً عن رويّتكم ولكن اقول هذا الكتاب لم تُثبَت بآيةٍ واحدة قط. وكان ينبغي ان تظهر بحقّهِ آيات ومعجزات اخرى كما ان الله عزّ وجلّ لمّا اراد ان يُبطِل العهد العتيق الذي كان قد اثبتهُ بآيات ومعجزات كثيرة ويجعل عوضهُ الانجيل صنع آياتٍ اخرى وعجائب على يد عيسى عليهِ السلام والحواريّين فثبَّت الانجيل وابطل العهد العتيق. هكذا كان يقتضي ان يصنع معجزاتٍ وآيات جديدة لاجل اثبات القرآن وتبطيل الانجيل وذلك لان الآيات والعجائب هي برهان قاطع عن ارادتهِ تعالى ومن ذلك تعلم رويّتكم النتيجة

وملكنا المظفر قال لي: من هو ذاك الذي قيل عنهُ انهُ شوهد وهو راكبٌ جملًا؟

فجاوبناهُ قائلين : ان هذه الآية أتى بها اشعيا النبي(٢١ : ٧)حيث يقول «فأبصَرَ ركّاباً ازواج فوارس من راكب حمارٍ ومن راكب جملٍ»

فملكنا سألني : من هو الراكب حمارًا والراكب جملًا ؟ . فجاوبتهُ ان الراكب حمارًا هو داريوش بن احشورش المادي والراكب جملًا هو كورش الفارسي الـذي هو من عيلام وهو ضبط مملكة الماديين واضافها الى مملكة الفرس . وداريوش المادي قد ضبط مملكة البابليّين واضافها الى مملكة الماديين

وملكنا سالني كيف تثبّت ذلك ؟ فجاوبتهُ انّني اثبّت هذا من سياق الكلام لان النبي اشعيا قد قال سابقاً في ذات الاصحاح المذكور (عد : ٢) : «إصعدي يا عيلام وحاصري يا ماداي» . فبعيلام اشار الى كورش الفارسي الراكب جملًا . وبماداي اشار الى داريوش الراكب حمارًا . ثمّ يقول (في العدد ٩) : النبي المشار اليهِ : « واذا بِركْبٍ من الرجال وأزواج من الفرسان أتوا . فاجاب وقال : سقطتْ سقطتْ بابل » فيشير جليًّا بهذه الآية الى داريوش وكورش لانّهما قَرَضا مملكة البابليين

ثم سألني ملكنا قائلًا : «لماذا شُبّهت هذه الممالك براكب جمل وراكب حمار ؟

فجاوبتهُ قائلًا : « لان في ناحية الماديّين توجد على الاكثر حمير . وفي ناحية فارس وعيلام توجد جمال . فبدوابّ الحمير والجمال يشير النبي بالاستعارة الى النواحي . وبالنواحي الى الممالك التي كان عتيدًا ان يخرج منها الملكان المشار اليهما . ثم ان مملكة الماديّين كانت مُزمعة ان تصير رخوةً وضعيفة ومملكة الفرس او عيلام كانت عتيدة ان تصير قوية ونشيطة فلذلك شبّه الله مملكة الماديّين بالحمار الرخو والفُرسَ اوعيلام بالجمل القويّ والنشيط . وايضاً دانيال النبي (في الاصحاح ٧ والعددين ٥و٦) شبّه مملكة الماديّين بالدبّ الرخو ومملكة العيلاميين والفُرس بالنمر السريع الحركة حيث يقول : «واذا بالحيوان الآخر الثاني كشبه الدبّ وقف ناحيةً وفي فمهِ بين اسنانهِ ثلاث أضلع . . . ثمّ كنتُ أَنظر واذا الآخر مثل النمر ولهُ اربعة اجنحة مثل الطـائر على ظهرهِ» . ثم في دانيال (٢ : ٣٢-٣٣) قد شبّه الله تعالى مملكة الماديّين بالفضّة لانّها ليّنة والفُرس والعيلاميين بالنحاس لانّهُ صَلب . فاذًا يريـد النبي اشعيا بالحمار مملكة الماديّين وبالجمل مملكة الفرس والعيلاميين

وملكنا قال لي: ان راكب الحمار هو عيسى عليهِ السلام. وراكب الجمل هو محمّد عليهِ السلام.

فجاوبتهُ قائلًا: ان ترتيب الازمنة والامور ينفي نسبة هـذا المعنى الى يسوع ومحمّد في هذا الموضع وتُعلَم الحقيقة من ملاحظة الأزمنة ورؤيات الانبياء فيُستدَلّ بها ان لفظة الحمار تشير الى المادييين ولفظة جمل الى العيلاميّين ولا الى اشخاص آخرين. فربمّا عبارة الحمار أطلقها اناسٌ اضطرارًا على يسوع اذ يوجد في موضع آخر مسطور عنهُ في زكريا (ص ٩ عد ٩): « ابتهجي يا بنت صهيون ها هوذا مَلِكُكِ يأتيكِ وهو عادلٌ ومنصورٌ وديعٌ وراكبٌ حمارًا وجحشاً ابن اتان ». واماّ عبارة الجمل فلا يمكن ان تُطلَق على محمد البتة

فملكنا قال لي: ولايّ سبب؟

جاوبتهُ لان يعقوب النبي قـال في سفر التكوين (ص٤٩ عد: ١٠): «لا يزول القضيب من يهوذا (اي قضيب الحكم) والمدّبر من بين رجليهِ (اي ذو النبوَّة) حتى يجيءَ الذي لهُ (اي ليسوع المسيح الملك والحكم) ولهُ يكون خضوع الشعوب ». فبذلك يبيّن يعقوب المذكور ان بعد مجيءَ عيسى تنتهي الانبياء والنبوّات. وايضـاً دانيال النبي قـال (ص ٩ عد: ٢٥): « فـاعلم وأَدْرِ انهُ من خروج الكـلام لتُبنَى ايضاً اورشليم الى المسيح القائد سبعة اسابيع واثنـان وستون اسبوعاً. ويبنى ايضـاً السُّوق والسُّور في ضيقة الاوقات» وكذا (عد: ٢٦) « وبعد الاثنين والستّين اسبوعـاً يقتَل المسيح ولا يكون لهُ وشعبُ الرئيس الآتي يخرب المدينة والقدس » فبذلك بيَّن دانيال النبي ان في المسيح تتمّ الانبياء والرؤيات. ويسوع نفسهُ قـال ايضاً (متّى ١١: ١٣): «ان جميع الانبياء والتوراة تنبأوا الى يوحنا المعمدان» فاذاً جميع النبوَّات التي صارت انتهت بالمسيح ومن بعد المسيح لا تكون نبوَّة ولا نبي فالانبياء جميعهم تنبأوا عن يسوع المسيح. والمسيح علّمنا عن ملكوت السماء فلم يَعُد يفيدنا ان نكتسب معرفة اخرى دائر الامور البشرية والارضية بعد اكتسابنا المعرفة عن سرّ اللاهوت وملكوت السماء. لان الانبياء تنبأوا تارةً عن امور هذا العالم وعن ممالكهِ وتارةً عن ظهور كلمة الله بالجسد. واماّ المسيح فانّهُ لم يعلّمنا عن الامور البشرية بل عن الامور الالهية وعن ملكوت السماء كما قلنا. فاذاً ان كانت النبوّات قد انتهت بالمسيح

ما رأينا ومن عهدَ المسيح فيما بعد يبشّر بملكوت الله كقوة يسوع فباطلًا اذًا وعبثًا يكون اعتقادنا في نبوّة اخرى بعد تجسّد كلمة الله المسجود لهُ لان الترتيب الحسن والجيّد هو ذاك الذي يُصعدنا من اسفل الى فوق اي من الأمور البشرية الى الأمور الالهية ومن الارضيّات الى السماويات . واماَّ النزول من فوق الى أسفل ومن الأمور الالهيَّة الى الأمور البشريَّة ومن السماويَّات الى الارضيّات فهو ترتيب معكوس ومرذول

وملكنا الحليم المملوّ حكمةً قال لي: ماذا تقول عن محمّد ؟

فجاوبتهُ قائلًا : انّ محمّدًا يستحقّ المدح من جميع العرب وذلك لاجل سلوكهِ معهم في طريق الانبياء ومحبّي الله لان سائر الانبياء قد علّموا عن وحدانيَّة الله ومحمّد علّم عن ذلك فاذًا هو ايضاً سلك بطريق الانبياء ثم كما ان جميع الانبياء أبعدوا الناس عن الشرّ والسيّئات وجذبوهم الى الصلاح والفضيلة هكذا محمّد أبعدبني أُمّتهِ من الشرّ وجذبهم الى الصَّلاح والفضائل فاذًا هو ايضاً قد سلك معهم في طريق الانبياء . ثم ان جميع الانبياء منعوا بني البشر من سجدة الشياطين وعبادة الاوثان وحرّضوهم الى عبادة الله عزّ وجلّ والسجود لجلالتهِ هكذا محمّد منع بني أُمّتهِ من عبادة الشياطين والسجدة للاوثان وحرَّضهم على معرفة الله والسجود لهُ تعالى الذي هو وحدهُ وليس بإلهٍ آخر سواهُ . فقد اتَّضح اذًا ان محمّدًا سلك معهم في طريق الانبياء . ثم ان كان محمّد قد علّم عن الله وكلمتهِ وروحهِ فجميع الانبياء تنبأُوا عن ذلك فمحمّد اذًا قد سلك في طريق الانبياء . فمن لا يمدح ويكرّم ويبجّل ذاك الذي حارب من اجل الله ليس بالكلام فقط بل بالسيف ايضاً أظهر الغيرة لاجل الباريء تعالى . وكما فعل موسى النبيّ في بني اسرائيل الذين صنعوا عجلًا من الذهب وسجدوا لهُ فقتل بالسيف واباد جميع الذين سجدوا للعجل هكذا محمّد ايضاً صنع لمَّا أظهر الغيرة لاجل الباريء سبحانهُ تعالى فالذين كانوا يتبعونهُ في اكرام الله ومخافتهِ كان يمجّدهم ويكرّمهم ويمدحهم ويعدهم ايضاً بالخير والمجد والاكرام من لدن الله في هذا العالم وفي الآخرة بالجنَّة والذين كانوا يعبدون الاصنام ويسجدون لها كان يحاربهم وينذرهم بعذابٍ أليم في نار الجحيم التي بها يحترق المنافقون وهم فيها خالدون . وكما فعل ابرهيم خليل الله الذي ترك الاوثان وابناء جنسهِ وتبع الله وسجد لهُ فصار يعلّم وحدانيَّة الله للأمم هكذا صنع ايضاً

محمّد لمّا ترك سجدة الاوثان والذين كانوا يسجـــدون لها من بني جنسهِ وغيرهم من الغرباء فـــاكرم فقط ذاك الذي هو وحدهُ إله الحق وسجد لهُ ٠ لاجل ذلك عظّمهُ الله تعالى جدًّا واخضع تحت مواطئ قدميهِ الدولتين القويّتين اللتين كانتا تزأران كالاسد وكالرّعد فكان يُسمع في العالم صوت كليهما أعني دولة الفُرس ودولة الرومانيّين فالاولى كانت تسجد للمخلوقات عوض خالقها والاخرى كانت تنسب آلاماً وموتاً لذاك الذي لا يتـــألم ولا يموت (١ مطلقاً فوسّع الله تعالى سلطة مملكتهِ بيد أمير المؤمنين واولادهِ من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى الجنوب٠ فمن لا يمدح ايُّها الملك المظفّر ذاك الذي مجّدهُ الله وبجّلهُ ؟ فذلك ما نقولهُ عن محمّد أَيها الملك المظفَر

وملكنا قال لي: فاذًا ينبغي لك ان تقبل كلام النبي

فجاوبتهُ: عن ايّ كلام يقول ملكنا ؟

فقال لي الملك: الكلام الذي يقولهُ عن الله انهُ واحد وليس آخر دونهُ

فجاوبتهُ قائلًا ان الاعتقاد بإله واحد قد تعلّمتُهُ ايّها الملك من التوراة والانبياء والانجيل وبهِ انا متمسك ومن اجلهِ أموت

وملكنا المظفّر قال لي : انّك تؤمن وتعتقد باله واحد كما قلت ولكن تقول ان هذا الإِله هو مثلّث وواحد

فجاوبتهُ : لا أنكر ذلك ايّها الملك بل اعترف باله واحد وهو مثلّث ولكن ليس مثلث بالأُلوهيّة بل باقانيم حكمتهِ وروحهِ وانّه ايضاً مثلّث وواحد ولكن ليس واحدًا بالاقانيم بل بالالوهيّة كما ثبتنا ذلك أنفاً

فملكنا المظفّر قال لي: لماذا انتم تسجدون للصليب؟

فجاوبتهُ قائلًا : انّنا نسجد للصليب لانّهُ علّة الحياة

وملكنا قال لي تكرارًا: ان الصليب ليس علّة الحياة بل علّة الموت

فجاوبتهُ ايّها الملك ان الصليب هو علّة الموت كما قلتَ ولكن الموت هو علّـــة القيـــامة والقيامة هي علّة الحياة وعدم الموت٠ فاذًا الصليب ايّها الملك هو علّة الحياة وعدم الموت فلذلك نقدّم بواسطتهِ السجدة لله تعـــالى الذي فتح لنا بهِ ينبوع الحياة

(١) اشار بذلك الى الشيعة المنوفيسيتيّة او اليعقوبيّة القائلة بوحدة الطبيعة في السيّد المسيح. فكان اصحابُها ينسبون آلامهُ وموتهُ الى الطبيعة اللاهوتيَّة . وتبعهم في ذلك بعض ملوك الروم

وعدم الموت. فذاك الذي قال في البدء (٢ كور ٤ : ٦) : « انهُ من الظلام يُشرق النور » وقد أحلى المياه المُرَّة بخشبة مرَّة (خروج ١٥ : ٢٣) وبمنظر الحيّة القتالة اعطى الحياة لبني اسرائيل (عدد ٢١ : ٩) هو أخرج لنا من خشبة الصليب ثمار الحياة وهو ايضاً اشرق لنا بين اغصان الصليب أشعَّة الحياة وعدم الموت. وكما اننا نبذل الجهد في إكرام الاشجار وخدمتها حبًّا بأثمارها هكذا نحن نكرّم الصليب ونوقره اجلالاً لثمرة الحياة التي خرجت منهُ. ثم ولئن تتلألأ اشعَّة محبَّة الله الساطعة نحو الكل في المخلوقات المنظورة والغير المنظورة ولكن لمَّا أُسلم الى الموت على خشبة الصليب حبًّا بخلاص الكل وحياتهم وانبعاثهم ازدادت اكثر اشعَّة هذه المحبة تلألؤًا نحو الناطقين. فبالصواب ايّها الملك المظفّر يُفترَض على الكلّ ان يُظهروا محبتهم لله بواسطة الصليب الذي أظهر بهِ تعالى محبتهُ نحو الجميع

وملكنا قال لي: أَيمكن ان يموت الله كائناً ما كان؟

فجاوبتهُ قائلًا: ان يسوع بما انّهُ إله لم يَمُت بل مات في الطبيعة البشريّة بما انّهُ انسان. فكما ان الإهانة تُنسب للملك نفسهِ حينما ينشقّ ارجوانهُ باهانةٍ او تتمزّق ثيابهُ الملوكية بحقارةٍ هكذا موت يسوع عليهِ السلام الذي صار لهُ في الجسد يُنسب لاقنومهِ الالهي

وملكنا قال لي: أَعوذ بالله انَّ عيسَى عليهِ السلام « ما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكن شُبّهَ لهم هكذا » (سورة النساء ١٥٦)

فجاوبتهُ قائلًا: انّهُ مكتوب في سورة عيسى (١ وهي « السلام عليّ يومَ ولدتُ ويومَ أَموتُ ويومَ أُبعَثُ حيًّا » فيتَّضح من هذه الآية جليًّا ان يسوع قد مات وقام. وفي سورة آل عمران (ع ٤٨) : « قال الله لعيسَى انّي متوفيكَ ورافعُكَ اليَّ »

فملكنا قال لي: إنَّ عيسَى لم يَمُت بعد وسوف يموت

فجاوبتهُ قائلًا: ان كان عيسَى لم يَمُت حتى الآن فلم يصعد بعدُ الى السماء ولم يُبعَث حيًّا بل سوف يصعد فيُبعَث حيًّا. ولكن ان كان ايّها الملك معلوماً ومقرّرًا لدى الجميع صعود يسوع الى السماء منذ أمدٍ مديد وانبعاثهُ حيًّا كما يشهد عن ذلك كتابك ايضاً فبصوابٍ نقول ان عيسَى قد مات على خشبة الصليب كما تنبَّأ عنهُ

١) تدعى اليوم هذه السورة سورة مريم (ع ٣٤)

الانبيآء قبل مجيئهِ

فملكنا قال لي: وايّ من الانبيآء تنبأ عن عيسى انّهُ يموت على خشبة الصّليب ؟

فجاوبتهُ ان كثيرين من هولآء تنبأُوا عن ذلك فاوّلاً قال داود النبي (مز ٢١: ١٧—١٩) : « ثقبوا يديّ ورجليّ وأحصوا كلّ عظامي وهم نظروا وتفرّسوا فيّ وقسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا » . وقيل في الانجيل ان هذهِ جميعها قد جرتْ بالفعل . ثم اشعيا النبي يقول عن المسيح (٥٣ : ٥) انّهُ « يُذبح لاجل خطايانا ويتّضع لاجل آثامنا » . ويقول النبي المشار اليه بمنزلة شخص عيسى (٥٠ : ٦) : «جسدي اعطيتهُ للضاربين وخدّي للناتفين لم أَستر وجهي عن المعيّرين والباصقين » . ثم ارميا النبي (١١ : ١٩) يقول هكذا : «وانا مثل حمل داجنٍ يُساق الى الذبح وانهم فكّروا عليّ نيّات قائلين : لنُلقينَّ العود في خبزهِ ونهلكهُ من ارض الاحياء » . وايضاً دانيال النبي (٩ : ٢٦) يقول : «ان المسيح يُقتَل ولا يكون لهُ » . كذلك زكريا النبي (١٣ : ٦) يقول : « ما هذهِ الجروح في يديك ؟ فيقول : هذهِ التي بها جُرِحتُ في بيت احبّائي . يا ايّها السيف انتبه على راعيّ » . فذلك واكثر من ذلك قال الانبياء عن موت المسيح وقتلهِ وصلبهِ

ثم ملكنا قال لي : ان الانبياء تشبيهاً شبّهوا المسيح هكذا

فجاوبتهُ : ممّن اتاهم هذا التشبيه ايّها الملك أمن الله او من الشيطان ؟ فان كان من الله سبحانه كيف كان يوحي الى الانبياء ما ليس لهُ وجود حقيقةً اذ هلا يليق بهِ تعالى مطلقاً ان يُوحي شيئاً يُغَشّ بهِ الناس . فان كان الله جلّ شانهُ اتى بهذا التشبيه الخالي عن الحقيقة والحواريّون كتبوا ما اوحي اليهم فصار هو علّة هذا الغشّ للجميع ولكن هذا محال وغير ممكن . فمن أَتى بهكذا التشبيه واظهرهُ للحواريّين ؟ هل الشيطان ؟ ولكن ايّة مشاركة للشيطان اخزاهُ الله مع الحواريّين في الامور المختصَّة بالعناية الربانيّة ومن يتجاسر على القول بان الشيطان الرجيم كان يستطيع ان يغشّ الحواريّين الذين كانوا بالقوّة الإلهيّة يضطهدونهُ ويطردونهُ وهو كان يهرب من امامهم مُدبِرًا ومُولولاً ؟ فاذًا يجب القول انّ ذلك موحًى من الله

وملكنا قال لي : انّ عيسى المسيح كان مكرّماً لدى الله فلم يكن ليسلّمهُ بيد اليهود ليقتلوهُ

فجاوبتهُ قائلًا: انَّ الانبياء الذين احتملوا القتل من اليهود لم يصيروا بذلك مرذولين لدى الله ومحتقرين فاذًا ليس كلُّ مقتول من اليهود مرذولاً ومحتقرًا. هذا ما يلاحظ الانبياء. واماَّ نظرًا الى يسوع المسيح فنقول انَّ اليهود قد صلبوهُ حقيقةً لا من حيث كان ضعيفاً ولم يقدر عليهم بل من حيث احتمل ذلك بارادته كما قال هو في انجيل يوحنا (١٠: ١٧): «انّي اضع نفسي لآخذها ايضاً. ليس احدٌ ياخذها مني بل أضعها انا من ذاتي: لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها ايضاً». فالمسيح اذًا اظهر بذلك انهُ تألم بارادته ولا من اجل انهُ كان ضعيفاً واليهود اقوياء لانَّ الذي زعزع السماء وهو على خشبة الصليب وزلزل الارض واظلم نور الشمس واظهر علامات الدم في القمر ومن اجلهِ الصخور تشقَّقت والقبور تفتَّحت والموتى انبعثت لم يكن حقيقةً ضعيفاً ولا ممَّن لا يستطيع ان يخلّص نفسهُ من يد اليهود فاذًا تألُّمهُ على خشبة الصليب كان بارادتهِ وحرّيتهِ

فملكنا قال لي: فاذًا اليهود ليس لهم ذنب في صلب المسيح وموتهِ لأنَّهم كمَّلوا ارادتهُ

فجاوبتهُ هكذا: ان كان اليهود صلبوا المسيح لاجل هذهِ الغاية وهيَ ان يقوم من بين الاموات منوَّرًا ويصعد الى السماء ممجَّدًا فليس لهم ذنب لا بل يستحقون المدح والتبجيل ولكن غاية اليهود في صلب المسيح اذ كانت موجَّهةً الى قتلهِ واهلاكهِ من الارض لاجل ذلك يستحقُّون العذاب والموت لانهم صلبوا المسيح لكي يهبط الى الجحيم. فالله مجَّدَهُ اذ اقامهُ من بين الاموات واصعدهُ الى السماء

وملكنا محبّ الله قال لي: ايًّا من هذين الامرين تقول هل كان المسيح يريد ان يُصلَبْ ام لا؟ فان كان يريد فاليهود ليس لهم ذنب لانهم عملوا ارادتهُ فلماذا يكونون ملعونين ومرذولين؟ وان كان صُلِبَ دون ارادتهِ فاليهود صاروا اقوى منهُ فكيف يمكن ان يكون ويُدعَى الهاً مَن لم يستطع ان ينجّي نفسهُ من يد صالبيهِ؟ فارادتهم صارت اقوى من ارادتهِ جدًّا

فجاوبته انا ايضاً معترضاً عليهِ: ماذا يفتكر ملكُنا الغنيّ الذهن والغزير الحكمة ايًّا من هذَين الامرَين يقول: هل كان يريد الله سبحانهُ ان الملاك يصير شيطاناً ام لا؟ فان قلتَ ايجابيًّا فلم يبقَ عتاب على الشيطان اذ صار هكذا لانهُ صنع الارادة

الالهيّة وكملها . وان جاوبتَ سلبيًا فارادة الشيطان اذًا تغلّبَتْ على ارادة الله وقويت . فكيف يمكن ان يكون ويُدعَى إلهًا ذاك الذي غُلِبَتْ ارادتهُ من ارادة ابليس ؟ اقول ايضاً : هل كان يريد الباري سبحانهُ ان يُطرَد آدم من الجنّة (اي من الفردوس) ام لا ؟ فان قلتَ ايجابيًا فينجو الشيطان من العتاب لانهُ ساعد ارادة الله جلّ شانهُ في اخراج آدم من الجنة وطردهِ منها . وان جاوبْتَ سلبيًا فكيف لا تقول ان الله غُلِبَتْ ارادتهُ واضحى ضعيفاً اذ من دون مشيئتهِ حدث هذا الامر ؟ فكما ان الباري تعالى لا يزال إلهًا قديرًا وان اخطأ ابليس وآدم ضدّ ارادتهِ الالهيّة . ثم ان آدم وابليس لا يخلوان من الذنب وان كان ارتضى الله بكليهما اي بان ابليس يسقُط من السماء ويُطرد آدم من الفردوس وذلك لانهما لم يكونا مخطئين تبعاً لارادتهِ تعالى بل لاجل تكميل ارادتهما في الخطيئة . هكذا يسوع المسيح لا يزال ان يكون ويُدعى إلهًا ذا القدرة وان قلنا ان اليهود تجاسروا وصلبوهُ بإثمهم فلا يقدرون ان ينجُّوا انفسهم من الجحيم واللعنة وان كان المسيح قد ارتضى بان يتألم على خشبة الصليب حبًا بخلاص البشر لان اليهود لم يصلبوا عيسى تبعاً لارادتهِ بل لاجل البغضة والحقد نحوهُ ونحو الذي ارسلهُ فلهذا السبب صلبوهُ اي لكي يموت ويَهلك من الارض واما المسيح فانّهُ اراد ان يُصلَبْ حتى بموتهِ يُحيي الجميع كما قلنا

وملكنا المظفر قال لي : ايها الجاثاليق ينبغي ان تعلم كما ان الله عزّ وجلّ اعطى اولاً الناموس اي الشريعة على يد موسى وبعدهُ الانجيل على يد عيسى هكذا ايضاً جُعل الخلاص على يد محمّد عليهم السلام

فجاوبتهُ قائلًا : ايُّها الملك نظرًا الى الشريعة الموسويّة التي كانت مزمعة ان تنتسخ قد سبق الله واعلن عنها جهرًا بفم الانبياء اذ قال الله تعالى في ارميا النبي (٣١ : ٣١–٣٤) هكذا : «ها انَّ اياماً تأتي يقول الرب وأُعاهد آل اسرائيل وآل يهوذا عهدًا جديدًا ليس مثل العهد الذي عاهدتُ بهِ اباءَهم يوم امسكتُ بايديهم لأُخرجهم من ارض مصر حيث هم نقضوا عهدي وانا سَئمتهم يقول الرب . بل هذا يكون العهد الذي بهِ أُعاهد آل اسرائيل بعد تلك الايام يقول الرب أَجعل شريعتي في احشائهم واكتبها على قلوبهم واكون لهم الهاً وهم يكونون لي شعباً ولا يعلّم

ايضاً الرجل صاحبهُ والانسان اخاهُ قائلًا : اعرفوا الرب لانهم سيعرفونني باجمعهم من صغيرهم الى كبيرهم » . فهذهِ الآيات تُعلِن واضحاً بانتساخ العهد العتيق اي الناموس الموسوي وبانزال العهد الجديد اي الانجيل واثباتهِ . وايضاً في يوئيل النبي يتكلم الله عزّ وجلّ صريحاً عن المعجزات المزمع حدوثها في زمان انتساخ الشريعة الموسويّة واثبات الانجيل وعن الروح الفارقليط الذي كان عتيدًا ان يحلّ على الحواريين فيقول (٢ : ٢٨) : «ويكون بعد هذهِ اني أُفيض روحي على كل بشرٍ فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم احلاماً ويرى شبّانكم رؤًى وعلى العبيد ايضاً وعلى الإماء أُفيض روحي في تلك الايام » . فيريد بالروح الفارقليط الذي بعد صعود يسوع المسيح الى السماء أُرسِل الى الحواريّين كما سبق عيسى ووعدهم . ثم يقول النبي المشار اليهِ (ع ٣٠–٣١) : « واجعل مُعجزاتٍ في السماء وعلى الارض دماً ونارًا واعمدةً من دخان فالشمس تتحوّل الى ظلمةٍ والقمر الى دمٍ » فهذهِ جميعها جرت امام الكل عندما تألّم يسوع المسيح على خشبة الصّليب . فلمّا انذر بهذهِ الآيات يوئيل النبي اردفَ قائلًا (ع ٣١) : « انّهُ ياتي يوم الرب العظيم المخيف » يريد اليوم الذي بهِ كلمة الله المتأنّس في طبيعتنا يظهر من السماء كالبرق مع قوّةٍ ومجدٍ كثير « ذاك اليوم الذي بهِ جميع قوّات السّماء تتزعزع والنجوم تسقط من السماء كما قال يسوع نفسهُ في الانجيل (مرقس ١٣ : ٣٥) ثمّ يقول هذا النبي (ع٣٢) : « ويكون كلّ من يدعو باسم الرب ينجو » اي كل من يقرأ انجيل الله ويفعل بما يأمر بهِ ينال الحياة الدائمة . فاتضح اذًا ان الله بهذهِ الايات المنزّهة عن كل غشّ وكذب أعلن جليًّا بانتساخ العهد العتيق اي الناموس الموسويّ وبالانتقال منهُ الى العهد الجديد اي الانجيل . ولكن لم يعلّم سبحانهُ تعالى في موضعَ البتة عن انتساخ الانجيل والانتقال منهُ الى شيءٍ آخر اي الى القرآن . ثم انّ العهد القديم كان رَمزًا عن الانجيل والانجيل هو رمزٌ عن ملكوت السماء الذي لا شيءَ افضل منهُ

وملكنا المظفّر قال لي : أليس موسى عليهِ السلام قال علانيةً لبني اسرائيل في تثنية الاشتراع (١٨ : ١٥) : « ان الرب سوف يُقيم لكم نبيًّا مثلي من بين اخوتكم » فمن هم اخوة بني اسرائيل سوى الاسمعيليين ؟ ومن صار نبيًّا مثل موسى سوى محمّدٍ ؟ فجاوبتهُ قائلًا : ايّها الملك انه يوجد اخوة كثيرون لبني اسرائيل في هذا الاعتبار

ما خلا الاسمعيليّين. فاولاً ان الآدوميّين هم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل وذلك لان الاسرائيليّين قد وُلدوا من يعقوب والادوميّين قد تسلسلوا من عيسو. واما يعقوب وعيسو فكانا ابني اسحاق ابي اليهود واخي اسمعيل الذي منهُ المسلمون فاذاً هم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل. وان كان الكلام الذي قالهُ موسى عن اخوة بني اسرائيل لا يُطلق على اسباطهم الاثني عشر بل على انسبائهم الأُخر نقول انهُ ينبغي ان يطلق بالأحرى على الادوميّين لانّهم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل كما رأينا. ثانياً ان اخوة الاسرائيليّين ما هم الاسمعيليون فقط بل والعمونيّون والموابيّون. ثم ان موسى لم يَقُل للاسمعيليين بل لبني اسرائيل «ان الرب يقيم من اخوتكم» ولا من الغرباء نبيًّا مثلي ولا مخالفاً لي في التعليم. فهذهِ الآية تشبه تلك التي خاطب بها البارئ تعالى شعبهُ عن ملكٍ قائلًا (١ ملوك١٢ :١٣) «من بين اخوتك اقيم عليك ملكاً». فكما إنّ إقامة هذا الملك من بين اخوة بني اسرائيل لا تدلّ على بني اسمعيل هكذا اقامة نبيّ من بين اخوتهم لا تشير الى بني اسمعيل. وايضاً ينبغي ان ننظر الى التشبيه المصرّح في هذهِ الآية حيث يقول موسى لشعب اسرائيل: «ان الرب يقيم لك نبيًّا مثلي» فان كان محمد نبيًّا مثل موسى كان يقتضي ان يصنع ايات ومعجزات كثيرة كما فعل موسى ولكن محمدًا لم يأتِ بمعجزات البتَّة فاذًا ليس محمد مثل موسى ثمَّ ان كان محمّد نبيًّا مثل موسى كان ينبغي ان يحفظ التوراة ويعلّم الناموس الذي أُعطي في جبل سينا ملازماً مع الختانة السبوت والاعياد كما كان يفعل موسى ولكنَّ محمّدًا لم يعمل بذلك فاذًا ليس هو مثل موسى

وملكنا قال لي : انّ كلامك ظريف ومعانيك حسنة لو قبلتَ محمدًا بين الانبياء

فجاوبتهُ هكذا: انّه مذكور عندنا ان نبيًّا واحدًا يأتي الى العالم بعد صعود يسوع الى السماء ومن قبل نزولهِ من هناك كما تعلمنا ذلك من ملاخي النبي ومن جبرائيل الملاك الذي بشّر زكريا بحبل يحيى ابنهِ

وملكنا قال لي : ومن هو هذا النبي الذي قلت عنهُ ؟

فجاوبتهُ هكذا : هو اليّا لان الله تعالى في ملاخي النبي الذي اتى اخيرًا بالنبوّة في العهد العتيق يقول عنهُ (٤ :٤—٥) هكذا: « اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرتهُ بها في حوريب لكل اسرائيل اوامر واحكاماً هاءنذا أُرسِل اليكم اليّا النبي

قبل ان يجيء يوم الرب العظيم المخيف فيردّ قلوب الاباء على الابناء وقلوب الابناء على آبائهم لئلّا آتي انا واضرب الارض بالحرم » . وجبرائيل الملاك لمّا بشّر زكريا بحبل يحيي أتى بهذا الكلام نفسهِ في لوقا (١ : ١٩)) : «فقال لهُ الملاك : لاتخف يا زكريّا لان صلاتك سُمِعَتْ وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميهِ يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادتهِ لانّهُ يكون عظيماً امام الربّ ومن بطن امّهِ يمتلئ من الروح القدس ويردّ كثيرين من بني اسرائيل الى الرب إلاههم ويتقدّم امامهُ بروح اليّا وقوّتهِ ليردّ قلوب الآباء على الابناء والعصاة الى فكر الابرار لكي يهيّئ للربّ شعباً مستعدًّا » . فانظر يا ايّها الملك المظفّر كيف ان الملاك يدعو عيسى المسيح ربًّا والاهاً . ثم ان الآيات السابقة تعلّمنا ما يأتي اي انّهُ كما ان يحيي بن زكريّا سبق مجيء يسوع المسيح وأرى الجميع شخصهُ قائلًا (يوحنّا ١ : ٢٩) : «هوذا حَمَل الله الذي يرفع خطيّة العالم» وقال ايضاً (١ : ٣٣) : «هذا هو الذي يعمّد بالروح القدس والنار هذا هو ابن الله الذي لستُ مستحقًّا ان احلّ سيور حذائهِ » . هكذا سوف يأتي اليّا النبي قبل شروق عيسى المسيح من السماء فيسبق منذرًا جميع الناس ومحرّضاً اياهم على ان يكونوا بظهورهِ المجيد الثاني مستعدّين للقائهِ ومو بّخاً المسيح الدجّال . فلا فرق بين يوحنا المعمدان واليّا النبي نظرًا الى قوّة الروح المتكلم فيهما اذ انّهُ واحد الّا انّ يوحنا المعمدان قد اتى واليّا سوف يأتي امام يسوع المسيح الذي سيظهر من السماء بقوةٍ ومجدٍ كثير ليقيم البشر من بين الاموات لانّهُ كلمة الله وخالق في البدء كل البرايا فهو يجدّدها اخيرًا كلها وهو ملك الملوك وربّ الأرباب ولملكهِ لا يكون انقضاء

ثم ملكنا الغزيرة حكمتهُ قال لي : لو لم تغيّروا التوراة والانجيل لكنتم تشاهدون محمدًا ايضاً مع الانبياء الأُخَر

فجاوبتهُ قائلًا : ايّها الملك المعظّم إنّ الله تعالى منحكم التاج والعرش والصولجان الملكي ومع هذه كلّها اعطاكم ايضاً ذهناً غزيرًا وقلباً وسيعاً ومستعدًّا لتدبير أمور الجماعة والأفراد كما تستحق دولتكم ذلك فيليق بشأنكم العزيز ان تفحصوا عن جميع هذهِ الامور التي تقولون عنها فايّ شيءٍ كان يحملنا على ان نغيّر الكتب لان التوراة والانبياء يصيحان جملةً كصوت الرعد ويعلّمان عن الوهيّة المسيح

وعن ناسوته وعن ولادته الالهيّة العجيبة التي صارت من الآب قبل كل الدّهور التي لا يقدر احد ان يصفها البتّة كما قال اشعيا النبي (٥٣ : ٨) : «وجيلَهُ مَن يَصِفُهُ» فهو الذي قيل عنهُ (مز ١٠٨ : ٣) : «من البدء قبل خلقة العالم ومن رحمٍ قبل الفجر ولدتُك» وايضاً (مز ١٧ : ١٧) : «وقبل الشمس موجود اسمهُ» . وعن ولادته الزمنية من الأمّ يقول اشعيا النبي (٧ : ١٤) : «ها ان العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمهُ عمانوئيل» . وإنَّ داود الملك واشعيا والانبياء جميعهم يعلّمون صريحاً وواضحاً عن العجائب والمعجزات التي كان عتيداً ان يفعلها في وقت ظهوره بالجسد وعن معرفة الله الحقيقة التي كانت تمتلئ منها المسكونة في وقت مجيئه الى العالم ويخبّرونا عن آلامه وصلبه وموته بالجسد كما قلنا أنفاً . ويتكلمون ايضاً عن قيامته من بين الاموات وعن صعوده الى السماء وعن مجيئه الثاني الى العالم وعن قيامة الموتى وعن الدينونة التي يدين بها الجميع لانّهُ الهٌ وكلمة الآب . ولمّا كان تعليم المسيح كلّهُ محتوىً في التوراة والانبياء فلأجل اي سبب كنّا نغيّرهُ ؟

ثم لو فرضنا انّنا قد غيّرنا وحرّفنا التوراة والانبياء التي هي عندنا وبيدنا ولكن كيف كنّا نستطيع ان نغيّر ونحرّف التي هي بيد العبرانيّين؟ ثم اذا اعترض أحد قائلاً : ان النصارى غيّروا وحرّفوا الكتب التي كانت بيدهم واليهود صنعوا كذلك بكتبهم . فنقول لاي سبب لم يغيّر ويحذف اليهود الآيات الموجودة في كتبهم التي تفتخر بها الديانة المسيحية وتستند عليها اذ ليس توجد عداوة في العالم مثلما كانت قبلاً والآن بين النصارى واليهود واذ قلنا ان اليهود غيّروا وحرّفوا كتبهم فكيف نحن كنّا نسكت عن هذه الآيات المحرّفة من هولآء اذ عليها يقوم مدار ديانتنا ولكن لا النصارى ولا اليهود غيّروا او وحرّفوا الكتب كما تشهد العداوة الموجودة بينهم التي من سببها لا يمكن ان يتفقوا مع بعضهم في كذا أمر مهمّ فاتضح اذاً انّهُ لم يكن ممكناً ان يتفق مع بعضهم النصارى واليهود في تحريف الكتب ولا ننكر ان اليهود يخاصموننا في شرح بعض الكلمات والاسماء وعن الأزمنة . ولكن نظراً الى وجود الالفاظ والكلمات وحقيقتها ليس مخاصمة بين بعضنا قط لان الألفاظ والكلمات هي موجودة عند الطرفين على حدٍّ سواء . فيا ايّها الملك نحن لم نغيّر او نحرّف التوراة والانبياء

وكذلك ينبغي ان نقول عن الانجيل لان ما قال الانبياء الاوَّلون عن المسيح هو هو مكتوب في الانجيل عنهُ . فاذاً واحدٌ هو شعاع النور الذي يضيءُ لنا من التوراة والانبياء والانجيل . ولكن مع هذا الفرق وهو انّه في التوراة والانبياء قد سبق الكلام والرموز وفي الانجيل ظهرت الأفعال والحقيقة فالانجيل ينذرنا بما علّمَ الانبياء عن لاهوت المسيح وناسوتهِ دون أدنى تغيير لان واحدًا هو معطي التوراة والانجيل وهو الله

ثم لو غيّرنا وحرّفنا الكتب لكُنَّا نجتهد في تغيير الأمور المظنونة دنيّةً وحقيرةً ومضادَّةً لديانتنا كالخوف والضرب والآلام والصّليب والموت وما اشبهَ ذلك ولكن ليس فقط لم نغيّر هذه الامور بل نفتخر بها ونكرّمها كما نفتخر بالأُمور التي هي سامية في ديانتنا وعظيمة ونكرّمها . لاننا كما نعتقد في يسوع انّهُ اله ليس لهُ بداءة ولا نهاية وهو مُساوٍ للآب بالطبيعة هكذا نعتقد بهِ انّهُ انسان حقيقةً وهو مساوٍ لنا بالطبيعة البشريّة

فلم نغيّر او نحرّف ايّها الملك سطرًا واحدًا من كتاب الله . فلو كان موجودًا اسم محمّد في كتبنا لكنّا ننتظر الى مجيئهِ بالاشتياق كما اشتقنا الى استقبال الذين كُتب عنهم الانبياء . ثمَّ ايّة قرابة لنا مع اليهود اكثر ممَّا لنا مع الاسمعيليّين ؟ ولماذا كنّا نقبل المسيح الذي هو من جنس اليهود ونرفض محمّدًا الذي ظهر من ذرّيّة الاسمعيليين ؟ لانَّ واحدةٌ هي قرابتّنا بالطبيعة مع الاسمعيليين ومع اليهود . والحق يضطرّني ان اقول ان قبل ظهور المسيح كان اليهود ذوي اعتبار عند جميع الامم وعند الله ايضاً . وبعد ظهور كلمة الله في الجسد منهم صاروا مرذولين ومحتقرين عند الله والناس لأنّهم غمّضوا عيونهم لئلاّ يبصروا ويتمتّعوا بالنور الذي أتى الى العالم ليُغيّر البشر فأضحى اذًا اليهود مبغضين ومكروهين من كل احدٍ . واماَّ الاسمعيليون فبالعكس فانّهم مكرّمون معتبرون عند الله والناس لتركهم عبادة الاوثان والشيطان وسجودهم وتكريمهم لله وحدهُ فلذلك يستحقون ان يحبَّهم الجميع ويكرّموهم . فلو وُجد في الكتب نبوّة ما بحقّهم ليس فقط لم نكن نغيّرها ونحرّفها بل كنّا ننظر اليها بفرح عظيم وننتظر تمامها كما ننتظر ذاك الذي سيأتي في المنتهى كما قلنا عنهُ اعلاه . لأنّنا لسنا منقّحين وصايا الله بل بالأحرى نحفظها بكل تدقيق

فحينئذٍ قال لي ملكنا متبسّماً : فلنترك الآن المحاورة ونتكلم عن هذهِ الأمور في وقتٍ آخر حينما يصير لنا فرصة لنعكف عليها

فنحن مجّدنا الله الذي هو ملك الملوك وربّ الأرباب وهو يعطي الحكمة والفهم للملوك لكي يدبّروا محاكمهم بالعدالة والرّحمة . ثم دعونا للملك ولدولتهِ طالبين من الله ان يؤيدها ويحفظها في العالم دائماً وان يثبّت سدّة عرشهِ بالعدل والبرّ الى الابد امين . وهكذا خرجنا من عندهِ

مجالس ايليا مطران نصيبين

توطئة

قد اثبتنا سابقاً في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٢٢٧-٢٤٣) ترجمة ايليا مطران نصيبين المعروف بابن شينا ويقال برشيناي وابن سنّي المتوفّى سنة ١٠٤٩ للميلاد . وسردنا هناك جدول تآليفهِ العربيَّة والسريانيَّة . ثمَّ روينا عنهُ رسالتين فريدتين نقلهما حضرة الاب لويس معلوف عن بعض مخطوطات مكتبة اوكسفرد الشرقيَّة وهما رسالتهُ في وحدانيَّة الخالق وتثليث اقانيمهِ ثم رسالتهُ المعنونة بنعيم الآخرة تجدهما في مجموع المقالات الدينيَّة القديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى في الطبعة الثانية منهُ (١٩٢٠ ص ١٢٤-١٣٣) .

ومن التآليف التي نوّهنا بها في ترجمتهِ الرسالة التي وجّهها الى ابي العلاء صاعد بن سهل الكاتب يذكر فيها سبعة مجالس جرت بينهُ وبين الوزير ابي القسم الحسين بن عليّ المغربيّ لمّا قدم الى نصيبين سنة ٤١٧ (١٠٢٦ م) وسأل اسقفها ان يشرح لهُ المعتقدات النصرانيَّة ففعل وكانت هذه المجالس كمحاورات دينيَّة عاد ايليا بن شينا فكتبها وارسلها سنة ٤١٨ ﻫ الى ابي العلاء صاعد وكان ابو العلاء اخا الاسقف ايليا وأحد اطبّاء الوزير ابي القسم وكان الوزير توفي في تلك الاثناء

ومن هذه المجالس عدَّة نسخ ثلثٌ منها في مكتبتنا سبق لنا وصفها (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٢٧٥-٢٧٦) . وقد وجدنا في حلب في مكتبة الموارنة نسخةً حسنة منها موسومة بالعدد ٢٥٨ تاريخها سنة ١٩٤٢ يونانيَّة الموافقة لسنة ١٦٣٠ مسيحيَّة فقابلنا نسختنا بها فاستفدنا من رواياتها . وها نحن نثبت هذه المجالس في كتابنا مع تفنيد بعض اقوال المؤلف المُشعِرة ببدعتهِ النسطوريَّة في تجسُّد السيّد المسيح واتّحاد طبيعتيهِ في وحدة اقنومهِ ولاسيما في المجلس الثاني واستنادنا في روايتنا الى اقدم نسخنا الراقية الى القرن الثالث عشر . وعلى الله الاتّكال

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد

(١) رسالة

انشأها الاب انبا ايلياً مطران نصيبين واعمالها المعروف بابن السنّي وارسلها الى الاستاذ ابي العلاء صاعد بن سهل الكاتب يذكر فيها المجالس التي جرت بينهُ وبين الوزير ابي القسم الحسين بن علي المغربي رحمهُ الله في الشرع وغيرهِ . وعددها سبعة فصول

(٢)قال الانبا ايليًا المطران في صدر رسالتهِ المُخلص في امانة ديانتهِ والباذل دنياهُ في طلب آخرتهِ الى الاخ الجليل الكبير المؤتمن ابي العلاء صاعد بن سهل اطال الله بقاءهُ وادام لهُ العزّ والتأييد والسعادة والتوفيق

من الخاطئ ايليًا خادم سيّدنا يسوع المسيح بنصيبين يهدي اليك السلام ويخصّك بالدعاء والاكرام ويرغب الى الله سبحانهُ في حراستك ودفع الأسواء عنك . وكان كتابي تقدَّم اليك ادام الله توفيقك أذكر فيهِ حال المجالس التي جرت بحضرة الوزير ابي القسم الحسين بن علي المغربي رحمهُ الله واني علّقت جملةً كلّ ما جرى في كلّ مجلس فيها لاشرحنَّ لك مفصَّلًا ما وقع التمكُّن من شرحهِ لتقف عليهِ لعلمي بشوقك الى معرفتهِ . وتأخّر ذلك الى هذه الغاية لعذر لا لاخفائهِ عنك وانا اشرح في هذه الرسالة ما جرىَ في مجلس مجلس لتقف عليهِ بمشيئة الله وعونهِ

الفصل الاول

يتضمَّن ذكر ما جرى في المجلس الاوَّل من الكلام والمسائل والجوابات في التوحيد والتثليث

(٣) اتّفق دخول الوزير رحمهُ الله الى نصيبين يوم الجمعة السادس والعشرين من جمادى الاولى من السنة الماضية وهي السنة سبع عشرة واربعمائة (حزيران ١٠٢٦م)ودخلتُ اليهِ يوم السبت بعدهُ وما كنتُ رأيتهُ قبل ذلك فقرَّبني واكرمني واجلسني بالقرب منهُ .

وبعد ان دعوتُ لهُ وهنَّأتهُ بقدومهِ نهضتُ لأنصرف فاستوقفني وقال لي : اعلم انَّ لي مدَّةً طويلة أُوثر الاجتماع بك والاستكثار منك واريد ان يكون حضورُك وانصرافك من عندي في كلّ وقت على ايثاري واختياري

فأجبتُهُ بالسمع والطاعة وجلستُ (٤) وبعد بسطهِ وتأنيسهِ لي واستعلامهِ اخباري ومجاري اموري وذكر العلماء واهل العلم قال لي : اعلمْ انَّ اعتقادي كان قديماً في النصارى اعتقاد من يحقّق انهم كفّار ومشركون وامَّا الآن فانا اشكُّ في كفرهم وشركهم لآيةٍ عجيبة شاهدتُها من مذهبهم واشكُّ ايضاً في توحيدهم لأشياء فظيعة يعتقدونها تقتضي ان يُشَكَّ فيها انهم غير موحّدين

قلتُ : ما الذي شاهدهُ الوزير اطال الله بقاءه يقضي الشكّ في كفرهم وما الذي يعتقدونهُ ممَّا يوجب الشكّ في توحيدهم

قال : امَّا ما شاهدتُهُ ممَّا يوجب الشكّ في كفرهم فهو اني عند كوني في الدفعة الاولى في ديار بكر توجَّهتُ الى بدليس في مهمّات عرضتْ لي فهجم بي عند وصولي اليها مرضٌ عظيم سقطتْ منهُ قوَّتي وبطلت شهوتي وأيستُ من نفسي فخرجتُ منها راجعاً الى ميَّافارقين حتَّى اذا قضى الله سبحانهُ عليَّ بما لا بُدَّ منهُ كان بها او بالقرب منها (٥) . وكانت نفسي لا تقبلُ شيئاً من الطعام ولا الشراب فتكلَّفتُ من تعب الطريق والركوب مشقَّةً عظيمة . وكنتُ اسير في كلّ يوم مسافةً قريبة والضعفُ يتزايد والقوَّة تنقصُ والمرضُ يشتدُّ ويصعب فوصلتُ الى ديرٍ في الطريق يُعرف بدير مار ماري وانا أضعفُ ممَّا كنتُ والمرضُ اقوى ممّا كان

فساعة نزولي فيه وتأمُّلي ما انا عليهِ من الضعف استدعيتُ شيئاً من الشراب وتناولتُهُ رجاء ان يمسك قوَّتي فمع حصوله في معدتي ألقيتهُ فازدادت نفسي ضعفاً وأَيستُ منها وقَلِق جميع مَنْ كان معي . فحضرني الراهب الموسوم بخدمة الدير ودعاني وأحضر معهُ شيئاً من الرمَّان وسأل الغلمان ان يفتّوهُ ويعرضوا عليَّ شيئاً منهُ . فعرَّفوهُ اني لستُ استطيع ان اتكلَّم ولا اسمع الكلام وانَّ نفسي لا تقبلّ شيئاً من الطعام ومعدتي لا يثبتُ فيها شراب ولا غيرهُ . فألحَّ عليهم وقال لهم : احبُّ ان تحملوهُ الى ان يستعمل ولو يسيراً من هذا الرمَّان(٦) فانَّهُ ينتفع منهُ ببركة هذا الدير المبارك . فاومأ اليَّ بعض الغلمان بقبول قولهِ تشبُّثاً بالعافية وتناولتُ من الرمَّان شيئاً يسيراً

وثبتَ في معدتي فاشتدّت. فلم ازل استعمل منهُ شيئاً بعد شيءٍ حتى قويت نفسي ونهضت شهوتي. وكان الراهب قد طبخ للغلمان عدساً فاستدعيتُ منهُ فأكلتُ بشهوةٍ وقتُ في الحال وتمشّيتُ متفرّجاً على السطح ورجعتُ الى حال الصحّة. فتحيّرت وتعجّبت انا وكلّ من معي على ما جرى. وانا الآن اذا تذكّرتُ ذلك اعجبُ منهُ واعتقد انهُ آيةٌ عجيبة أُعيدها في كلّ وقت وفي كلّ مكان على كلّ احدٍ. فهذا ممّا اوجب لي الاعتقاد في النصارى انّهم ليسوا بكفّار ولا مشركين

وامّا ما اوجب ان اعتقد فيهم انّهم مشركون فهو انّهم يعتقدون انّ الله تعالى جوهر ثلاثة اقانيم فيعتقدون ثلثة آلهة فيعبدون ثلثة ارباب ويعتقدون انّ عيسى المأخوذ من مريم هو ازلي خالق غير مخلوق

(٧) قلتُ: كلّا لا تعتقد النصارى ثلثة آلهة ولا ثلثة ارباب ولا يعتقدون انّ الناسوت المصطفى المأخوذ من مريم هو ازلي غير مخلوق

قال: ألستم تقولون انّ الله تعالى جوهرٌ ثلثةُ اقانيم آب وابن وروح القدس؟

قلتُ: نعم كذلك نقول

قال: أَولستم تقبلون الامانة التي دوّنها وقرّرها الثلثمائة والثمانية عشر؟

قلتُ: نعم نقبلها ونعظّمها

قال: فقولكم ان الله جوهر ثلثة اقانيم آب وابن وروح قدس كفرٌ وإشراكٌ بالله والامانة التي قرّرها الثلثمائة والثمانية عشر ودوّنوها تتضمّن ان يسوع الذي هو عندكم البشري المولود من مريم هو ربٌّ ازلي خالق غير مخلوق

قلت ان كان غرض الوزير من هذا القول معرفة مذهبنا وبراءة ساحتنا ممّا نُسب الينا من الشناعة اوردتُ ما عندي وان كان غرضهُ المناظرة والمجادلة فانا اسالهُ ان يعفيني من ذلك وينعم عليّ بالعدول عنهُ الى ما يتعلّق بالشرع والمذهب

قال: واللهِ العظيم ما اقصدُ في ما اخاطبك بهِ (٨) الّا معرفة اعتقادكم وبراءة ساحتكم ممّا ينسب اليكم ممّا ظاهرهُ شنيع وربما كان باطنهُ جميلًا. وان سروري في ما تورده ممّا ينفي عنكم الشكّ مثل سروري بفائدة كثيرة انالها. فانني اعتقد انّ كلّ نصرانيٍ موحدٍ محمودٌ فائزٌ وان كان لا يعترف بنبوّة محمّد بن عبدالله. وانّما من شرط الاستفهام التقصّي في السؤال والمعارضة فلا تنسب ما يردُ من ذلك مني الّا

الى الاستقامة ولا الى حالٍ آخر

فشكرتُهُ وقلتُ : قد أجمع الشرعيُّون العقليُّون انَّ للعالم علّةً أوجدَتْهُ وهي مدبّرة لهُ . وليس تخلو هذه العلّة من ان تكون امّا قائمةً بنفسها وامّا موجودة في غيرها اذ ليس شيءٌ موجود الّا وهو قائم بنفسهِ وامّا موجود في غيرهِ . ومن المحال ان يكون خالق كلّ شيءٍ موجودًا في شيءٍ آخر كما توجد الاعراض . فاذا بطَلَ ان يكون موجودًا في غيرهِ ثبت انهُ قائم بنفسهِ (٩) . ونحن نسمّي القائم بنفسهِ جوهرًا

قال : فقولكم انَّ الله جوهر يؤدّي الى القول بانَّ الله متحيّز وقابل للأعراض لأنّنا لا نجد في المُشاهَد جوهرًا الّا متحيّزًا وقابلًا للاعراض .

فقلتُ : وقول المسلمين اعزّهم الله انّ الله قائم بنفسهِ يؤدي الى القول بانَّ الله متحيّز وقابل للاعراض لأننا لم نجد في المُشاهَد قائمًا بنفسهِ الّا متحيّزًا وقابلًا للاعراض . فان أَلزَمَنا المسلمون القول بانَّ الله متحيّز وقابل للاعراض لاجل قولنا انهُ جوهر اذ لم يجدوا في المُشاهَد جوهرًا الّا متحيّزًا قابلًا للاعراض أَلزمناهم القول بانَّ الله متحيّز وقابل للاعراض لاجل قولهم انّ الله موجود ليس بعرض اذ ليس يوجد في المُشاهَد موجود ليس بعرض الّا متحيّزًا وقابلًا للاعراض . فأن كان ذلك لا يلزمهم كذلك لا يلزمنا نحن القول بانَّ الله متحيّز او قابل للاعراض لاجل قولنا(١٠) بانَّ الله جوهر

قال : فاذا كان دليلُكم على انَّ الله جوهر كونَهُ قائمًا بنفسهِ اذ لم يجدوا في المشاهد قائمًا بنفسهِ الّا جوهرًا لزمكم القول بانَّ الله تعالى جسمٌ اذ لا يوجد في المشاهد جوهر الّا جسماً

قلتُ : واذا كان دليل المسلمين على انَّ الله مستغنٍ بوجودهِ عن كلّ محلّ يحلّ فيهِ كونَهُ قائمًا بنفسهِ اذ لم يوجد في المُشاهَد قائمٌ بنفسهِ الّا مستغنياً بوجودهِ عن محلّ يحلّ فيهِ لزمهم القول مثلنا بانَّ الله جسمٌ لكونهِ قائمًا بنفسهِ اذ لا يوجد قائم بنفسهِ الّا جسماً . وكذلك اذا لزمَنا القول بانَّ الله جسمٌ لاجل قولنا انهُ جوهر اذ لا يوجد في المشاهد جوهر الّا جسماً لزم ايضاً المسلمين القول بانَّ الله تعالى جسم لاجل قولهم انهُ حيّ فاعل قادر عالم اذ لا يوجد في المشاهد حيٌّ فاعل قادر عالم الّا جسماً . واذا

(١١) كان ذلك لا يلزمهم كذلك لا يلزمنا نحن ايضاً القول انّ الله جسم لاجل قولنا انهُ جوهر

قال: ان المسلمين لم يلزمهم القول بانّ الله تعالى جوهر لحالَين . احدهما انّ حقيقة الجوهر معناهُ عندهم هو ما شغل حيّزاً او قَبِل عرَضاً . والباري تعالى غير متحيّز وغير قابلٍ عرضاً . والآخر انّ كتابهم ولُغتهم لم يطلقا عليهِ اسم الجوهر فلذلك لم يلزمهم القول بان الله جوهر

قلتُ: وكذلك النصارى انّما يلزمهم القول بانّ الله جوهر لحالتين: احداهما لأنّ حقيقة الجوهر ومعناهُ وحدهُ عندهم هو القائم بنفسهِ والباري تعالى قائم بنفسهِ . والحالة الاخرى انّ كتابهم ولغتهم أطلقا عليهِ اسم الجوهر فلذلك لزمهم القول بانّ الله جوهر عبارةٌ عن القائم بنفسهِ . وانّما عبّروا عن القائم بنفسهِ بالجوهر لأنهم لم يجدوا في لغة العرب لفظةً تصلح ان يعبّروا بها عن القائم (١٢) بنفسهِ غير اسم الجوهر ولذلك يسمّون كلّ موجود قائم بنفسهِ جوهراً . قديماً كان ذلك الموجود او محدثاً . بسيطاً او مركّباً . شاغلاً حيّزاً او غير شاغلٍ حيّزاً . قابــلاً عرَضاً او غير قابلٍ عرضاً . فان انكر المسلمون حفظهم الله تسميتنا الباري سبحانهُ جوهراً عبارةً عن القائم بنفسهِ فليدلّونا على اسمٍ في لغتهم ينوب عن القائم بنفسهِ نيابةً أوقع من اسم الجوهر لنستعملهُ بدلاً من الجوهر او يجيزوا لنــا استعمال اسم الجوهر لمعنى القائم بنفسهِ إنْ علموا ان ليس في لغتهم لفظة تصلح ان يُعبَّر بها عن القائم بنفسهِ غير اسم الجوهر لنعتمدهُ . او يعترفوا لنا بانّ ليس في لغتهم اسم يجوز ان يُعبَّر بهِ عن القائم بنفسهِ لنَعْلم ذلك ونَعْتمد بان نُسمّي كلّ موجود قائمٍ بنفسهِ قائماً بنفسهِ حسبُ . وايّ قسمٍ اختاروا من هذه الاقسام الثلثة وافقناهم عليهِ

قال: نحن نجيز لكم القول بان (١٣) الله جوهر بمعنى القــائم بنفسهِ . فما معنى قولكم انّ الله ثلثة اقانيم آب وابن وروح القدس ؟

قلتُ: قد اتّفقنا على ان الله جوهر بمعنى القائم بنفسهِ . وليس يخلو هذا القائم بنفسهِ ان يكون حيّاً او غير حيّ لأنهُ ليس شيء قائم بنفسهِ الّا هو امّا حيّ وامّا غير حيّ . ومن المحال ان يكون خالق الحياة ومُحدِث كلّ شيء مَيْتاً غير حيّ فنقول انّ الباري تعالى قائم بنفسهِ حيّ

ثمّ لا يخلو هذا القائم بنفسهِ الحيّ ان يكون ناطقاً او غير ناطق لأنهُ ليس حيّ الّا هو امّا ناطق واماّ غير ناطق ومن المحال ان يكون خالق الناطقين ومُحدِث النطق غير ناطق فنقول انّ البارئ تعالى قائم بنفسهِ حيّ ناطق . ثمّ ليس حيّ الّا بحياة ولا ناطق الّا بنطق (١٤) فنقول ان البارئ تعالى قائم بنفسهِ حيّ بحياةٍ ناطقٌ بنطقٍ . والذي نريدهُ بقولنا «نُطق» غير ما يذهب اليهِ المسلمون بقولهم «النطق» وذلك انّ حدّ النطق عندهم هو حركة اللسان لكل حيوان بصوتٍ مسموع وهو عامّ فيما يعقل وفيما لا يعقل . واماّ النطق عندنا فهو يخصّ ما يعقل دون ما لا يعقل . وهو على ضربين نُطق الصوت ونطق الفهم فنطق الصوت يكون باصطكاك الاجسام والهواء وهذا النطق لا يوجد الّا في الاجسام القابلة للموت . واماّ نُطق الفهم فهو القوّة النطقيّة الموجودة في النفس التي بوجودها يوجد العلم والحكمة والمعرفة وإدراك الاشياء . وبعدمها يعدم جميع ذلك . وهذا النطق يخصّ كلّ موجودٍ لا يموت مثل النفس الناطقة والملائكة (١٥) والبارئ تعالى . ولمّا كان الانسان مركّباً من جسد مائت ونفس غير مائتة حصل لهُ النطقان اعني نطق الصوت ونطق الفهم . وعلى هذا الوجه نقول انّ الله تعالى ناطق كما نسمّيه جوهراً بمعنى انهُ قائم بنفسهِ لا لانهُ متحيّز ولا قابل للاعراض كسائر المخلوقات . ونسمّيهِ حيّاً بمعنى انهُ لهُ حياة وروح لا لأنهُ حيوان كسائر الاحياء . وكذلك نسمّيهِ ناطقاً بمعنى انّهُ ذو نطقٍ لا لأنهُ كسائر الناطقين الذين أُعطوا النطق

قال: امّا قولكم انّ الله حيّ وانهُ ناطق بمعنى حكيم فسائغ . واماّ قولكم انهُ حيّ بحياة وناطق بنطق فهو قول يؤدي الى الشرك لانكم تُثبتون مع الله قديمَيْن آخرين وهما الحياة والنطق

قلتُ: فقول من يقول انّ الله حيّ بلا حياة وناطق بلا نطق (١٦) يؤدي الى القول بانّ الله غير حيّ وغير ناطق لأنّهُ لا حيّ الّا بحياة ولا ناطق الّا بنُطق كما لا نحويّ الّا بنحو ولا مُهندس الّا بهندسة . وذلك انّ الاسماء المشتقّة هي مأخوذة من معانٍ موجودة تسمّى بها الاسماء المشتقّة حسب مقتضى اللغات والقوانين المنطقيّة . والحيّ مشتقّ من الحياة والناطق مشتقٌ من النطق . فلزم من ذلك ان لا يكون حيٌ إلّا بحياة ولا ناطق الّا بنطق

وايضاً انَّ الوزير ايَّده الله يعلم ان اهل السُّنَّة من المسلمين حرسهم الله يعتقدون انَّ الله حيٌّ بحياة عالم بعلم قادرٌ بقدرة مريدٌ بارادة متكلّم بكلام سميعٌ بسَمْع بصيرٌ ببصَر . فان كان النصارى مشركين لاجل قولهم ان لله حياةً ونطقاً فاهل السُّنَّة من المسلمين احقُّ منهم بالشرك لاعتقادهم انَّ لله حياةً وعلماً وقدرةً وكلاماً وارادةً وسمعاً وبصراً . وان كان اهل السُّنَّة موحّدين (١٧) مع إثباتهم لله ذلك فالنصارى ايضاً موحّدون مع اثباتهم لله حياةً ونطقاً

ومما يدلّ على انّ الله حيٌّ بحياةٍ وناطقٌ بنطق هو انّ قولنا «قائمٌ بنفسهِ» يفيدنا معنًى غير المعنى الذي يفيدنا قولنا «ناطق» وغير المعنى الذي يفيدنا قولنا «حيّ» . فقولنا قائم بنفسهِ حيّ ناطق يفيدنا ثلثة معانٍ هي الذات والنطق والحياة . ونحن نسمّي النطق كلمةً اذ لا نطق الّا بكلمةٍ ولا كلمةً الّا بنطق ونسمّي الحياة روحاً لأن لا حياة الّا بروح ولا روح الّا بحياة

ولمّا كانت ذات البارئ تعالى غير قابلة الاعراض والتركيب بطَلَ ان يكون نطقُهُ وحياتُهُ اعني كلمتهُ وروحهُ عرَضَيْن او قوَّتَيْن مركّبتين مثل البياض (١٨) في الثلج والحرارة في النار . ولمّا بطَل ان يكون نطقهُ وحياتهُ عرضَين او قوّتين مركّبتين ثبت انهما جوهران مساوِيان للذات في الجوهريّة والقدم . ولمّا ثبت ذلك بطل ان يدخل عليهما الاعراض كما يدخل على نطق المخلوقين وعلى حياتهم

ولذلك حصلت الذات بمجرّدها غير عرض وغير قابلة الاعراض . والنطق الذي هو الكلمة غير عرض وغير قابلة الاعراض . والحياة التي هي الروح غير عرض وغير قابلة الاعراض . وكلّ موجود ليس بعَرَض فهو بقِسْم الضرورة امّا جوهرٌ عامّ وامّا اقنومٌ خاصّ حسبما بيّنهُ ارسطاطاليس في كتاب القاطيغورياس حيث تكلّم على الجوهر والعَرَض

فلمّا بطلت ان تكون الذات والكلمة والروح ثلثة اعراض او ثلثة جواهر عامّة ثبت انّها ثلثة اقانيم خواصّ ولمّا كانت الذات علّة ولادة الكلمة وعلّة انبثاق الروح وكانت الكلمة (١٩) مولودة من الذات كولود النطق من النفس والضوء من الشمس وكانت الروح منبعثة من الذات كانبثاق الحياة من النفس والحرارة من الشمس سُمّيت الذات اباً والكلمة ابناً والحياة روحاً قدساً . وكما انَّ ذات النفس ونطقها

وحياتها نفسٌ واحدة وذاتَ الشمس وضياءها وحرارتها شمسٌ واحدة كذلك الذات الالهيَة والكلمة والروح الهٌ واحد . ولـذلك نقول انَّ الله جوهرٌ واحد ثلثة اقانيم آب وابن وروح القدس

قال: قولُكم انَّ الله كلمةٌ وروح هما اقنومان قولٌ غير معقول

قلتُ: قولنا انَّ الله ناطق حيّ قولٌ معقول . وقولنا انهُ ناطق بنطق وحيٌّ بحياة وانَّ نطقهُ هو كلمتُهُ وحياتهُ روحُهُ وانَّ كلمتهُوروحهُ ليستا عرَضين ولا قوّتين مثل كلمة المخلوقين وحياتهم كلّ ذلك قول مفهوم معقول (٢٠) . وقولنا انهُ اذا بطل ان تكون كلمتهُ وروحهُ عرَضين ولا قوّتين ثبت انهما اقنومان قولٌ معقول ضروري . فقولنا اذن انَّ الكلمةوالروح هما اقنومان هو قول معقول ضروري . ولو قيل انهُ غير معقول لوجب ان ننكر على المسلمين اقاويل كثيرة غير معقولة كقولهم انَّ لله يدين خلَق بهما آدم . وهما مبسوطتان لا مغلولتان . فانَّ هذا منهم غير معقول ولذلك يعترفون انَّ اليدين في الله ليستا بجارحتَيْن . واذا سُئلوا عن ماهيَّتهما لم يجيبوا بجواب معقول

قال الوزير : ان يدي الله تعالى هما نعمتهُ وقدرتهُ

قلتُ: لو كان يدا الله هما نعمتهُ وقدرتهُ لمَا كان لتخصيص آدم انهُ خُلق بيد الله معنًى اذ كلّ الاشياء (٢١) لم تُخلَق الّا بنعمة الله وقدرته فبطل من هذا الوجه ان تكون يدا الله نعمتهُ وقدرتهُ . وكذلك كلّ صفتَين تذكَران انهما يدا الله ينتقضان بآدم فيحصل قولهم انَّ لله يدينِ هما عندهما صفتان مجهولتان . فلا يجب ان ينكروا على النصارى قولهم ان كلمة الله وروحه هما اقنومان معروفان لا مجهولان

قال: فلمَّا كان اعتقاد النصارى في الباريءْ تعالى انهُ اله واحد على مـا وصفت فما حملَهم على ان يقولوا انهُ ثلثة اقانيم آب وابن وروح قدس فيوهمون السامعين انَّ الله تعالى ثلثة اشخاص او ثلثة آلهة او ثلثة اجزاء . وبقولهم انَّ لله ابناً يوهمون من لا يعرف اعتقادهم انهم يريدون بذلك ابن المباضعة والتناسل فيُظهرون عـلى انفسهم تهمةً هم بريئون منها

قلتُ : ولمَّا كان اعتقاد المسلمين في الباريءْ تعـالى انهُ غير ذي جسم وغير ذي جوارح واعضاء وغير محصور في مكان فما اذا حملَهم على القول (٢٢) انَّ لله عينين يبصر بهما ويدين يبسطهما وساقين يكشفهما ووجهاً يوليهِ الى كلّ جهة وانهُ يأتي في ظلّ

من الغمام فيوهمون السامعين انّ لله تعالى جسماً واعضاء وجوارح وانهُ ينتقل من مكان الى مكان في ظلّ من الغمام فيظن من لا يعرف اعتقادهم انهم يجسمون الباريْ تعالى حتّى انّ قوماً منهم اعتقدوا ذلك واتّخذوهُ مذهباً ومن لا يتحقّق اعتقادهم يُتهمهم بما هم منهُ بريئون

قال : العلّة في قول المسلمين انّ لله عينين ويدين ووجهاً وساقين يكشفهما وانهُ يأتي في ظلّ من الغمام هي انّ القرآن نطق بذلك والمراد فيهِ غير ظاهر اللفظ . فكلُّ من يحمل ذلك على ظاهرهِ ويعتقد انّ لله عينين ويدين ووجهاً وساقين وجوارح واعضاء وانّ ذاتهُ تنتقل من مكان الى مكان وغير ذلك ممّا يقتضي التجسُّم والتشبه فهم يلعنونهُ ويكفّرونهُ

قلتُ : وكذلك العلّة في قول النصارى (٢٣) انّ الله واحد في ثلثة اقانيم آب وابن وروح القدس هي انّ الانجيل نطق بذلك والمراد بهِ الله تعالى وكلمته وروحه . وكلّ من يعتقد انّ الاقانيم الثلثة هي ثلثة آلهة او ثلثة اجسام او ثلثة اجزاء او ثلثة اعراض وثلث قوى مركّبة او غير ذلك ممّا يقتضي الشرك والتشبيه والتجزّيْ والتبعيض وانّ المراد بذكر الآب والابن ابوّة او بنوّة نكاح او تناسُل او مباضعة او جماع او ولادة من زوجة او من بعض الاجسام او من بعض الملائكة او من بعض المخلوقين فهم يلعنونهُ ويحرمونهُ

قال : واللهِ قد سُررتُ بما اوردتَ عن النصارى وان كان فيهِ ما يحتمل الجدال والمناقضة على رأي من يدفع إثبات الصفات لله من المسلمين . وهذا قريبٌ الى ما كنتُ اعتقدُ فيهم . وانّما بقيَتْ الشبهة الاخرى وهي قولهم ان يسوع البشري المولود من مريم هو ابنٌ ازلي خالقٌ (٢٤) غير مخلوق مولود من الله قبل كلّ الدهور فما قولك بذلك ؟

قلتُ : ايّد الله الوزير ليست النصارى تعتقد ان البشري اي الناسوت المأخوذ من مريم هو ازليّ خالق غير مخلوق ولا انهُ هو مولود من الله قبل كلّ الدهور بل نعتقد ان هذا الناسوت مخلوق محدث لا يتميز عن سائر الناس الّا بانّهُ لا يعرف الخطيئة

قال : افليس تقبلون الامانة التي قرَّرها الثلثمائة والثمانية عشر(١ ؟

قلتُ : نقبلها كما نقبل الانجيل ونعظّمها كما نعظّمهُ

قال : أفليس يتضمَّن ما هذه حكايتهُ : نؤمن بالاله الواحد الآب حاوي الكل خالق السماوات والارض ما يُرى منها وما لا يُرى وبالربّ الواحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد بكر الخلائق المولود من ابيهِ قبل كلّ الدهور نور من نورٍ اله حقّ من اله حقّ من جوهر ابيهِ مولود وليس بمخلوق ؟

قلتُ : هذا من لفظ الامانة ولا شكّ فيهِ ونحن نقبلهُ ولا ندفعهُ

قال : فقد لزمكم اذن القول بان يسوع البشري المولود من مريم اله ازليّ حقّ مولود من ابيهِ (٢٥) قبل كلّ الدهور وليس بمخلوق حسبما يقتضيهِ القول

قلتُ ايّد الله الوزير : ما يلزمُنا ذلك لأن المعنى الذي نشير اليهِ بقولنا يسوع وذلك الذي نريدهُ بقولنا الربّ في هذا الموضع هو الكلمة الازليّة . والذي نريدهُ بقولنا يسوع مطلقاً هو البشريّ المأخوذ من مريم وان كان اسم الربّ يقع على يسوع واسم يسوع يقع على الرب في عدّة مواضع لاجل الاتّحاد والذي نريدهُ بقولنا المسيح هو المعنيان معاً فالربّ الذي هو الكلمة ازليٌّ خالق ويسوع زمنيّ محدث . فقولنا الوحيد المولود من ابيهِ قبل كلّ الدهور هو عطف على الربّ الذي هو الكلمة لا على يسوع الذي هو البشريّ المأخوذ من مريم . فاذا كان الامر على هذا (٢٦) بطل ان يكون يسوع الذي هو البشريّ المأخوذ من مريم ازليًّا قديماً خالقاً مولودًا من ابيهِ قبل كلّ الدهور وليس بمخلوق . وممَّا يدلُّ على ذلك دلالة واضحة هو انَّنا نعتقد انّ يسوع الذي هو البشري مأخوذ من مريم (١ . تمّ الفصل الاول بعون الله وتأييده

المجلس الثاني

ذكر ما جرى من الكلام في حلول ابن الله واتحادهِ بالطبيعة البشرية

ولمَّا كان يوم الاحد بعدهُ انفذ الوزير في طلبي فصرتُ اليهِ (٢٧) وبعد استعلامهِ اخباري واقاويل جميلة اوردها عليَّ دعوتُ لهُ لاجلها قال لي :

---

١) يريد بذلك دستور الايمان الذي قررهُ المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥

اعلم انّي فكَّرتُ في ما اوردتهُ في توحيد النصارى وانّما عرضتْ لي شبهة اخرى تقتضي الشكّ فيهم

قلت : يذكرها الوزير ايّدهُ الله لأقول ما عندي فيها

قال : اليس النصارى يقولون بالاتحاد ؟

قلت : نعم

قال : وكيف يصحّ لكم التوحيد مع قولكم انَّ الله تعالى حلّ في البشري المأخوذ من مريم وانتم تعلمون انّهُ ليس يخلو ان يكون قد حلّ فيهِ كحلول العرَض في الجوهر وهذا ممَّا يؤدي الى القول انَّ الله تعالى عرَض او كحلول الجسم في الجسم وهذا دليل بانّ الله جسم والقولان كفر. ثمّ ليس يخلو ايضاً ان يكون الجوهر الالهي كلّهُ على الكمال حلّ في البشري المأخوذ من مريم او بعضهُ فان كان كلّهُ حلّ فيهِ فقد انحصر (٣٨) وان كان حلّ بعضهُ فقد تجزّأ وتبعّض والقولان كفر

قلتُ : ان حلول البارئ سبحانهُ وتعالى في البشري المأخوذ من مريم لم يكن كحلول العرض في الجوهر لانّهُ تعالى ليس بعرض ولا كحلول الجسم في الجسم لانهُ ليس بجسم ولم يحلّ الجوهر كلّهُ على الكمال ولا بعضهُ لانهُ لا ينحصر في مكان دون مكان ولا يتجزّأ ولا يتبعّض فيحصل بعضهُ في مكان وبعضهُ في مكان آخر لكنّ حلولهُ تبارك وتعالى كان حلول الوقار والرضا والمشيئة لا حلول الذات والجوهر لأنَّ ذاتهُ وجوهرهُ في كلّ مكان بالسويّة وانّما يحلّ في مكان دون مكان وفي شخص دون شخص حلول الوقار والرضا والمشيئة كحلولهِ في السماء دون الارض وفي البيوت المتّخذة لعبادتهِ دون غيرها وفي الانبياء والمصطفين دون غيرهم من البشريين (١

١) هذه البدعة النسطوريّة بعينها فانّها تجعل المسيح انساناً اتّحد معهُ الله اتّحاداً عرضياً. وليس حلول الوقار والرضاء والمشيئة الّا اتّحاداً عرضياً لا يختلف عن اتّحاد الله مع الانبياء والابرار الّا في الدرجة فقط. وان كان الامر كذلك بطل كلّ سرّ تجسّد ابن الله وكلّ سرّ الفدى. والصواب انّ اللاهوت كلّهُ بجوهرهِ واقنوم ابن الله قد حلّ في السيّد المسيح وان كان حلولهُ لم ينحصر في شخص السيّد المسيح لوجودهِ كإلهٍ في كلّ مكان. وقد قام لهُ جوهرهُ وذاتهُ الالهيّان مقام اقنومهِ البشري بحيث يجوز ان يُنسَب الى الله كلّ فعل يفعلهُ المسيح سواءً كان بطبيعتهِ الالهيّة او بطبيعتهِ البشريّة فيجوز القول انَّ الهاً ولد في بيت لحم من مريم العذراء

قال : ان كان حلول الباريء في البشري (٢٩) المأخوذ من مريم حلول الوقار والرضا والمشيئة كحلوله في الانبياء والابرار الذين حلّ فيهم برضاه ومشيئته فلا فرق بينهُ وبينهم وان لم يكن بينهُ وبينهم فرق فما يجب ان تفضلوهُ عليهم (١

قلتُ : انّ اسم الحلول من الاسماء المشتركة التي يقع كل اسمٍ منها على اشياء مختلفة مثل اسم الوجود الواقع على الباريء تعالى وعلى الانسان وعلى الارض والنار والحجر وغير ذلك من الموجودات ومثل اسم الحيوان الواقع على الانسان والثور والحمار وغير ذلك من الحيوانات . وكما لا يداني الانسان الباريء تعالى وان كان اسم الموجود يقع عليهما معاً كذلك الانبياء لا يدانون البشري المأخوذ من مريم لوقوع الحلول فيه وفيهم (٣٠) . لان الحلول فيه كان حلول الاتّحاد الذي لا يلحقهُ افتراق وحلول الرضا والمشيئة الكاملة والحلول فيهم غير حلول الاتّحاد وغير حلول الكمال (١ . ولو جاز ان يساوي بعضُ الانبياء البشريَّ المأخوذ من مريم لاجل وقوع اسم الحلول عليهما معاً لجاز ان يساوي تلاميذُ المسيح سيّدَهم في النبوّة لوقوع اسم النبوّة عليهم وعليه من موجب قوله «أصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم» . فكما قال الله تعالى ابوهُ وابوهم وهم غير متساوين في البنوَّة كذلك يقال انَّ الله حلّ فيه وفي الانبياء من غير ان يساويهُ الانبياء في الحلول (٢ فانَّ الحلول فيه يتميز من الحلول في الانبياء والابرار لاسباب عدَّة : منها انَّ الابن الازلي الذي هو الكلمة اتّحد معهُ فصار مسيحاً واحدًا (٣ فلذلك نسمّيه نحن المسيح وتسمُّونهُ انتم كلمة الله (٣١) وليس في الانبياء

التي يحقّ لها ان تُدعى امّ الله وانَّ الهًا مات على الصليب كما يقال انَّ الهًا صنع المعجزات وشفى المرضى واقام الموتى . لنا في ذلك مثال حسن في الانسان وتركيبهِ من جسد ونفس اذ يُعزى الى شخصٍ واحد ما تصنعه النفس كالفكر والارادة وما يصنعهُ الجسد كالاكل والنوم

١) هذا الاعتراض في موقعهِ وهو يبطل المزاعم النسطوريّة من اصلها ل . ش

٢) ليس هذا الجواب مقنعًا طالما يبقى هذا الحلول متفاوتًا بالدرجة فقط ويُعتبر حلول الله في السيّد المسيح حلول وقار ورضى ومشيئة . ولا يفيدهُ استنادهُ الى كلام الانجيل «أصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم» فانّ هناك اشارة الى طبيعتهِ الانسانيّة التي تمّ صعودها في ذلك اليوم الى السماء ورافقت الطبيعة الالهيّة التي لم تبرح السماء . فدعا الله اباهُ والههُ بالنسبة الى طبيعتهِ البشريّة وان صحّ ذلك ايضًا بالنسبة الى بنوّتهِ الازليّة من الآب واشتقاق لاهوته ازليًا منهُ

٣) فهذا ينقض قولهُ السابق . لانهُ لا يمكن اتحاد الكلمة مع ناسوت المسيح بحيث يصير مسيحًا واحدًا الّا بأن يكون الاتّحاد جوهريًّا في ذات اقنوم ابن الله ل . ش

من يُسمّى عندنا وعندكم كلمةَ الله الّا المسيح من موجب الاتحاد. ومنها انهُ لم يكن من جماع ولا عرف الجماع. ومنها انَّ لهُ من الآيات ما ليس لغيرهِ من الانبياء والمُصطفين ومنها انَّ الله رفعهُ الى السماء وهو هناك حيّ وليس في الانبياء من رفعهُ الله اليه. ومنها انهُ لم يعرف الخطيئة لا فكرًا ولا قولاً ولا فعلًا وليس في الانبياء من شهد لهُ الكتاب بمثل ذلك. واذا كانت هذه اوصافهُ وجب ان يكون الحلول فيهِ غير الحلول في غيرهِ (١

قال: انَّ هذه الاوصاف كلها التي تنسبونها الى هذا البشري قد توجد جميعها في الانبياء وذلك انَّ قولكم انَّ المسلمين يسمُّونهُ كلمة الله فذلك لانهُ خُلق بامر الله كما خُلق كلّ شيء (٣٢) من الاشياء بان قال لهُ كُنْ فكان. وقولكم انهُ من غير جماع فآدم ايضاً كان من غير جماع. وقولكم انهُ لم يعرف الجماع فيحيي بن زكريا لم يعرف الجماع. وقولكم انَّ لهُ آياتٍ ومعجزات تفرَّد بها فليس لهُ آية ولا معجزة الّا ولموسى مثلها. وقولكم انهُ رفعهُ الله اليهِ الى السماء فادريس (٢ ايضاً رفعهُ الله اليهِ الى السماء. وقولكم انهُ لم يعرف الخطيئة فسائر الانبياء معصومون من الخطيئة (٣. واذا كان هؤلاء الانبياء قد ساوَوْهُ في هذه الاوصاف وجب ايضاً ان يساووهُ في الحلول واذا كان الامر هكذا فلا فضيلة لهُ عليهم

قلتُ: لو كان الامر على ما يزعم المسلمون انهم انما يسمُّون المسيح كلمةَ الله لانهُ خُلق بأمر الله كالمخلوقات كلها فهذا ينتقض اذ لو كان ذلك ما كان بينهُ وبين سائر المخلوقات فرقٌ لانَّ كلًّا منهم حتى الدوابّ وسائر الاجسام العديمة الحياة خُلق بامر الله. ولو كان ذلك كذلك لَما كان لتخصيص المسيح بهذا الاسم معنًى ومن المحال (٣٣) ان يختصّ باسم لم يختصّ بهِ غيرهُ دون معنًى. واذا ثبت انهُ لم يُسَمَّ كلمة الله

---

١) او بالحري وجب ان يكون ذلك الحلول اتّحادًا ذاتيًّا جوهريًّا بابن الله

٢) ادريس عند المسلمين هو على رأي البعض اخنوخ الذي ذكرهُ سفر التكوين (٥: ٢١–٢٢) وعلى رأي غيرهم النبيّ مار الياس الذي توارى في العلوّ على مركبة ناريّة (٤ ملوك ٣: ١١)

٣) انّ الانبياء معصومون عن الضلال في وحيهم ولكن ليسوا معصومين عن الخطيئة. فان الاسفار المقدّسة تذكر خطايا لبعض الانبياء كداود وسليمان   ل. ش

لانهُ خُلق بامر الله ثبت انهُ انما سُمّي كلمة الله لاتحاد الكلمة الازليّة معهُ كما يُسمّى الجسد ناطقاً لاتحاد النفس الناطقة معهُ (١

واما قولكم انهُ لا فرق بينهُ وبين آدم في كونهما من غير جماع · فجوابهُ انّ كون آدم من غير جماع ليس هو بفضيلة لآدم اذ خُلقت كلّ الحيوانات الاولى ايضاً من غير جماع · وذلك انّ آدم كان من غير جماع في وقت لم يكن فيهِ ذكر وانثى يكون منهما · والبشريُّ المأخوذ من مريم تفرّد في ذلك في وقتٍ كان فيهِ عدد الذكور لا يُحصى فيمكنهُ ان يكون من نسل احدهم · ولأن الله اظهرهُ في مثل ذلك الوقت من غير ذكر فقد شرّفهُ (٣٤) بذلك على جميع البشر · ثمّ انّ المسيح قد فضل على آدم وعلى سائر البشريين لانّ آدم خالف ربّهُ وعصاهُ في الفردوس والناسوت المصطفى من مريم لم يعرف الخطيئة اصلاً · وآدم أُبعد من الجنّة وقد رُفع المسيح الى السماء · ثمّ ان آدم توعّدهُ الله بالكدّ والشقاء والجوع والتعب والعودة الى الرميم والتراب · والمسيح شرّفهُ الله وعظّمهُ واعطاهُ اشرف الاسماء واجلّ الالقاب ووعد تابعيهِ بالنعيم في الجنّة · فاذا كان (٣٥) على هذا الحال فليس ينبغي ان يقاس البشريّ المأخوذ من مريم بآدم وان تساويا في الجوهريّة والبشرية (٢ ·

وقولكم لا فرق بينهُ وبين يحيي بن زكريّا في العفّة من الجماع وانهُ لم يختصّ بهذه الفضيلة وحدهُ · فانّنا انّما اردنا كون المسيح جمع في شخصهِ الفضيلتين معاً اي الكون من غير جماع والعفّة من الجماع · لأنّ آدم لم يكن من جماع لكنّهُ عرف الجماع ويحيي بن زكريّا لم يعرف الجماع لكنّهُ ولد من جماع · والناسوت المأخوذ من مريم لم يكن من الجماع ولا عرف الجماع وهذه الفضيلة ليست لآدم ولا ليحيي

وقولكم انهُ لم يكن للمسيح شيءٌ من الآيات والمعجزات الّا (٣٦) ولموسى

---

١) وهذا يقتضي ان يكون اتّحاد كلمة الله بناسوت المسيح اتّحاداً ذاتيّاً باقنوم ابن الله على خلاف ما زعم صاحب المجالس · ألَا ترى في الانجيل انّ السيّد المسيح ينسب الى نفسهِ كلّ صفات اللاهوت بل يؤكد انّهُ هو والآب واحد (يوحنا ١٠ : ٣) · وهذا كلّهُ يسقط لو كان الاتّحاد بالوقار والرضا والمشيئة فقط كما يزعم النساطرة ل · ش

٢) قولهُ انّ المسيح وآدم تساويا في الجوهريّة والبشريّة يُشعر ايضاً بالبدعة النسطوريّة فانّ جوهر المسيح هو ذات جوهر ابن الله وجوهر الاقنوم الثاني الالهيّ الذي اتّخذ الطبيعة البشريّة بكل خواصّها ونقائصها وعللها الّا الخطيئة ل · ش

مثلها ينتقض لأنَّ موسى لم يـذكرهُ بعضُ مَن تقدَّمهُ من المصطفَين. ولمّا ارسلهُ الله الى فرعون لم يُظهر على يدهِ معجزةً على الفور ولكن عن امرٍ منهُ تعالى او بعد تضرُّع. وفي آخر عمرهِ غلط غلطاً منعهُ الله لاجلهِ من الدخول الى الارض المقـدَّسة. فتضرَّع وسأل وابتهل ان يغفر لهُ ويسامحهُ بالدخول اليهـا فلم يُقبل سؤالـهُ. وامّا السيّد المسيح فانَّ الانبياء ذكروهُ وبشّروا بهِ قبل ظهورهِ باكثر من الفي سنة وقالوا فيهِ انهُ هو المنتظر وصاحب الامر والمرتجى للامم. وكانت آياتهُ ومعجزاتهُ عـلى الفور ولا على التراخي ومن غير تضرُّع الى الله مثل قولهِ للميت «قُم» فيقوم وللمُقعَد «انتصب» فينتصب وللابرص «شئتُ فاطهرْ» فيطهُر. وللمريض «قد برئتَ» فيبرأ. وللاعمى «قد أُعطيت البصر» فيبصر وللشيطان (٣٧) «اخرج من الانسان» فيخرج ولهيَجـان البحر «اسكن» فيسكن وغير ذلك ممَّا نطق بهِ الانجيل المقدّس. وقد شهد القرآن انهُ تكلَّم في المهد وانهُ كان يعمل من الطين كهيئة الطير وينفخ فيهِ فيكون طيراً (سورة آل عمران ع ٤١—٤٣). وما سبيل مَن كان يعتقد ذلك من المسلمين ان يقيس امر موسى بالمسيح في امر الآيات والمعجزات التي جرت على ايديهما (١

وقولكم انـهُ لا فرق بين المسيح وبين ادريس في رفعهما فمردود من موجب الانجيل عند النصارى ومن موجب القرآن عند المسلمين لانَّ الانجيل لا يدلّ على انَّ ادريس في السماء. والقرآن ايضاً وان كان يدلُّ على انهُ رُفع الى مكان عليّ (سورة مريم ع ٥٧—٥٨) الّا انهُ لم يذكر انهُ في السماء. فامّا المسيح فيدلّ الانجيل على انهُ رُفع الى اعلى السماوات ويدلُّ القرآن ايضاً عليهِ (سورة آل عمران ع٤٨) بقولهِ: «يا عيسى انّي متوفّيك ورافعك (٣٨) اليّ ومطهّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة». فبقولهِ «رافعك اليّ» يدلّ على رَفعهِ الى غاية العلوّ والعظمة في المنزلة. فاذا كان الامر على هذا فليس يقاس امر المسيح في ارتفاعهِ الى السماء بامر ادريس

وقولكم انهُ لا فرق بينهُ وبين سائر الانبياء في العصمة من الخطيئة. فجوابهُ انَّ الخطيئة تكون امّا بالفكر وامّا بالقول وامّا بالفعل وليس في الانبياء من يشهد

---

١) ويضاف الى قولهِ انَّ موسى لم يمكنهُ ان يمنح لغيرهِ صُنْع المعجزات على خلاف السيد المسيح الذي اعطى لتلاميذه تلك النعمة ففعلوا كما فعل المسيح بل اجترحوا باسمه معجزات لم يجترحها هو كما كان وعدهم بذلك (يوحنا ١٤: ١٢) ل. ش

لهُ الكتاب بالعصمة من السهو والغلط في فكرهِ وقولهِ وفعلهِ . والانجيل وكتب الانبياء الذين بشّروا بالمسيح تدلُّ على انّهُ لم يعرف الخطيئة لا فكرًا ولا قولًا ولا فعلًا

فاذا كان الامر هكذا وكان البشري المأخوذ من مريم قد اتّحد مع الابن الازلي الذي هو الكلمة وصار مسيحًا واحدًا وليس كذلك سائر الانبياء والصالحين وجب القول (٣٩) ان تكون فضيلة الحلول متميّزة فيهِ من الحلول فيهم كتميُّزه بينهم (١ . . . تمّ المجلس الثاني بعون الله وارشادهِ

المجلس الثالث

في اقامة الدليل على توحيد النصارى من القرآن

وفي يوم الثلثاء مستهَلّ جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الوزير فقال لي: تأمّلتُ ما اوردتَهُ في معنى توحيد النصارى فاستحسنتُهُ ثمّ رجعتُ الى القرآن الشريف فوجدتُهُ يدفعهُ بقولهِ (سورة المائدة ع ٧٧) : « لقد كفر الذين قالوا انَّ الله ثالث ثلثة » وهو يصفهم في مواضع كثيرة بالشرك

قلتُ : ليس يلزمني ايّد الله الوزير ما ورد في القرآن ومع انهُ لا يلزمني ذلك فانا أُقيم الدليل منهُ على انَّ النصارى موحّدون . وذلك انّا نجدهُ تارةً يشهد لهم بالتوحيد وتارةً بالشرك . واذا كان الامر على هذا فليس يخلو ان يكون امّا متناقضًا وامّا ان يشير بالتوحيد الى طائفةٍ منهم وبالشرك الى طائفةٍ أُخرى . وما اظنّ انَّ في المسلمين حرسهم الله مَن يقول انّهُ متناقض فيلزم القول انَّ المراد بوصفهِ النصارى بالتوحيد اشار الى طائفةٍ منهم وبالشرك الى طائفةٍ أُخرى . فامّا الموحّدون الذين يشهد القرآن بتوحيدهم (٤٠) ونعرف انّهم مقرُّون بانَّ الله واحد فنحن (اي النساطرة) واليعاقبة والملكيّة ومن يجري مجرانا من النصارى . وامّا المشركون منهم فقوم يتشبّهون بالنصرانيّة

(١) ليست هي فقط متميّزة بل هي مختلفة جدًّا عنهم لانَّ حلول الله في الانبياء انّما كان عرضيًّا موقّتًا ادبيًّا بخلاف حلول الكلمة في ناسوت السيّد المسيح الذي كان ذاتيًّا جوهريًّا ازليًّا بحيث يقوم اقنومهُ الالهيّ فيهِ مقام الذات البشريّة جامعًا بين الطبيعتين الكاملتين الالهيّة والانسانيّة فالفعلُ يُنسَب الى الله سواء قامت به طبيعتهُ الالهيّة كالمعجزات أم الطبيعة البشريّة كالصلب والموت ل . ش

كالمرقيونيّة والدّيصانيّة والمانويّة والطَريثونيّة(١ اي المثلّثة وغيرهم ممّن ينتسب الى النصرانيّة وهم برئيون منها وبعيدون عنها . فامّا المرقيونيّة فيعتقدون ثلثة آلهة الهاً عدلاً والهاً رحيماً والهاً شرّيرًا . وامّا الديصانيّة والمانويّة فيقولون بصانعَين والهين احدهما خالق الخير والنور والآخر خالق الشرّ والظلمة . وامّا الطَريثونيّة اي المثلّثة فيقولون بثلثة آلهة وثلثة ارباب وثلثة معبودين وثلثة جواهر ونحن نعتقد فيهم وفي المرقيونيّة والديصانيّة والمانويّة انهم مُلحِدون ومخالفون الشرع . وامّا الاقاويل الدالّة على توحيدنا من القرآن فمن ذلك ما ورد في سورة البقرة(٤١) حيث يقول (ع ٥٩) : «انّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرُهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» فقد دلّت هذه الآية على انّ «النصارى آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحاً فلهم اجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم»

قال : قد اختلف المفسّرون في هذه الآية فقال بعضهم نُسِخت بقوله (آل عمران ع ٧٩) : «ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يُقبَل منهُ وهو في الآخرة من الخاسرين» . وقال آخرون انّ المراد بها هو انّهُ انّما يستحقّ اليهود والنصارى والصابئون الاجر في الآخرة اذا أَسلموا لا اذا كانوا على اديانهم

قلتُ : انّما قولُ من قال انّ صحّة هـذه الآية منسوخة ينتقض بما اذكرهُ وهو (٤٢) انّ الكلام ينقسم على اقسامٍ عدّة فمنهُ خبرٌ ومنهُ استخبار ومنهُ طلبٌ ومنهُ إنذار ومنهُ أمر . والنسخ لا يقع الّا في الامر لانهُ لو وقع في الخبر او غيرهِ من اقسام الكلام غير الامر كان اختلافاً وتضادًّا . وانّما جاز وقوع النسخ في الامر لانهُ يَحسُن في الامر فيأمر الآمِر بامرٍ ما في وقتٍ ما لمصلحةٍ يوجبها ذلك الوقت ويأمر بعد ذلك الوقت بغير ذاك الامر لمصلحةٍ أُخرى . فامّا من يُخبِر بخبرٍ ما ثمّ يُخبِر بغير خبر ضدّهِ فقبيح ولذلك جاز وقوع النسخ في الاوامر دون غيرها من اقسام الكلام . والاوامر على ضربَين : فرائض وغير فرائض والنسخ لا يقع الّا في الفرائض .

---

١) المرقيونيّة شيعة مرقيون المبتدع الـذي عاش في القرن الثاني للمسيح . والديصانيّة مذهب برديصان (اطلب المشرق ١٨ (١٩٢٠) : ٩٧٧-٩٩٣) . والمانويّة بدعة ماني الذي ظهر في العجم في القرن الثالث للميلاد . امّا الطريثونيّة فبدعة لبعض المراطقة في القرن الرابع مشتق اسمها من اللاتينيّة (Tritheismus) اي القائلون بثلاثة آلهة

والفرائض على ضربين: منها عقليّة مثل فرض التوحيد وفرض شكر النعم وطاعة الوالدين وصلة الرحم. ومنها سمعيّة مثل تعظيم يومٍ (٤٣) بعد يوم وإجلال موضع دون موضع وتحريم طعام دون طعام وغير ذلك من الفرائض السمعيّة فلا يقع النسخ الّا فيها دون العقليّة لانهُ يستحيل ان يُنسَخ فرضُ التوحيد او فرضُ شكر النعم او فرض طاعة الوالدين او فرض صلة الرحم. واذا كان النسخ لا يقع الّا في الاوامر وكانت هذه الآية إخبارًا لا امرًا بطل ان تكون منسوخة. وممّا يدلّ على انّها لم تُنسخ انهُ ورد في القرآن قولهُ (سورة المائدة ع٥): «اليوم اكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي». وما بعد التام والكمال شيء آخر

واماَّ قول من يقول انّ المراد بآية البقرة انّما هو« انّ اليهود والنصارى والصابئين يستحقّون الأَجر في الآخرة اذا أسلموا لا اذا كانوا على اديانهم »فيبطل ايضاً لانهُ لو كان المراد فيها ذلك لما كان لذكر اليهود والنصارى والصابئين في الآية معنًى اذ لا فائدة (٤٤) في قولهِ « الذين آمنوا » الّا ان يستوعب كل من يدخل في الايمان من اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم والّا لما بقي فرق بين قولهِ « الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين اذا آمنوا» وبين قوله «الذين آمنوا والذين آمنوا» وهذا تكرُّر لا يُفيد معنى وليس للمسلمين ان ينسبوا مثل هذا الى القرآن

وايضاً فلو كان المبذول في هذه الآية من الأَجر في الآخرة لليهود والنصارى والصابئين مقروناً بشرط الدخول في الاسلام لوجب ان تكون المجوس والهنود اذا اسلموا خارجين عن الشرط وممنوعين من البذل ولزم انهُ لو اسلم بعضهم وغيرهم من عبدة الاصنام لا يُقبَل إسلامهُ لتخصيص اليهود والنصارى والصابئين بذلك. فإذا كان هذا عندهم غير واجب بطل ان تكون هذه الآية منسوخة وبطل (٤٥) ان يكون المبذول منها لليهود والنصارى والصابئين مقروناً بشرط الدخول في الاسلام وثبت ان المراد بها هو انّ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من اليهود والنصارى والصابئين لهم اجرهم عند الله ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون. واذا ثبت ذلك ثبت انّ النصارى موحّدون

وقال الطبري في شرح هذه الآية : « انّ الذين صدّقوا الله ورسولهُ هم اهل الاسلام والذين هادوا هم اليهود. وانّ من الصابئين من آمن بالله وقد بيّنّا امرهم.

والنصارى ممّن آمن باللهواليوم الآخر وصدّق بالبعث والنشور بعد الموت وعمل صالحاً لمعادهِ فلا خوف عليهم فيما قدموا عليهِ من أهوال القيامةولا هم يحزنون على ما خلّفوهُ وراءهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما اكرمهم الله بهِ من جزيل ثوابهِ» . فقد دلَّ هذا القول من الطبري رحمهُ الله على انهُ كان يعتقد انَّ من آمن بالله واليوم الآخر من اليهود والنصارى والصابئين وعمل صالحاً استحقّوا النعيم في الآخرة

ومنها ايضاً قولهُ (سورة البقرة ع ٢٢٠) : «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمِنَّ » فلو كان النصارى مشركين لَمَا جاز ان تُنكح بناتهم الّا بعد أن يُسْلمنَ « والآن هنَّ يُنكَحن ولو بقين على مذهبهنَّ فعُلم بذلك انَّ النصارى غير مشركين(٤٦)

ويثبت ذلك بما ورد في سورة آل عمران (ع١٠٩)أن : «ليسوا سواء من اهل الكتاب امّةٌ قائمةٌ يتلون آيات الله أناءَ الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون الى الخيرات واولئك من الصالحين» فمعلوم انَّ الامّة القائمة المذكورة في هذه الآية هي بعض ملل اليهود او النصارى . والقرآن يشهد على اليهود بشدَّة العداوة وقساوة القلب والمكر ويشهد للنصارى بقرب المودَّة والسرعة الى الخيرات وعمل الصالحات وذلك ممَّا يدلّ انهُ بقولهِ « امّة قائمة» قد اراد النصارى لا اليهود . فاذا ثبت ذلك ثبت ان النصارى موحّدون لا مشركون

وكذلك جاء في سورة الحجّ (ع ٤١) : «ولولا دَفْعُ الله الناسَ بعضهم ببعض لهُدّمت جوامع وبيَع وصلوات ومساجد يُذكَرُ فيها اسمُ الله كثيرًا » فلو كان النصارى غير موحّدين لَما شهد انهم يذكرون اسم الله في بيَعهم كما يذكرهُ المسلمون في مساجدهم اذ لا يذكر اسمَ الله (٤٧) الّا الموحّدون ولا كان يساوي بين المساجد والبيع

وفي السورة السابقة (ع ١٧) : «انَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا انَّ الله يَفْصل بينهم يوم القيامة »ومعلوم انهُ لو كان النصارى مشركين لَما ميَّز في هذه الآية بينهم وبين الذين اشركوا

وفي سورة التوبة (ع٥) : «فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتموهم »فهذه الآية توجب قتل المشركين حيث وُجدوا سواء أعطوا الجزية ام لم يعطوها . ويوجب القرآن حقن دماء النصارى وأكل ذبائحهم ومخالطتهم وحراستهم اذا اعطوا الجزية كما يُحرَس

المسلمون. وذلك مما يدلّ على انهم موحدون لا مشركون

وفي سورة المائدة (ع ٧٠): «ولو انّهم اقاموا التوراة والانجيل وما أُنزِل اليهم من ربّهم لأَكلوا مِنْ فَوقهم ومن تحت أَرجلهم منهم امّة مُقتَصِدة وكثيرًا منهم ساء ما يعملون» قال مجاهد (٤٨): «انّ الامّة المقتصدة هي مؤمنةُ اهل الكتاب. وقال قتادة: اي من اهل الكتاب امّةٌ مقتصدة على كتاب الله واوامرهِ. وقال السدي: هي المؤمنة. وقال ابن يزيد: المقتصدة هي اهل الطاعة لله من اهل الكتاب وهي ممّن يقبل التوراة والانجيل» ولم يقبل التوراة والانجيل احدٌ سوى النصارى فهم اذن موحدون

وفي سورة المائدة (ع ٨٥): «لتجدنَّ اشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنَّ اقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا انّا نصارى ذلك بانّ منهم قسّيسين ورهباناً وانّهم لايستكبرون» (٤٩) فقد ميّز النصارى من المشركين في هذه الآية تمييزًا يدلّ على انّ النصارى موحدون غير مشركين. وقال ابو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية بعد ان اورد تأويلات المتقدّمين واختلاف المفسّرين فيها ما هذا شرحهُ: «ان الصواب في ذلك عندنا ان يقال انّ الله تعالى اخبر عن النفر الذين اثنى عليهم من النصارى بقرب مودّتهم لاهل الايمان بالله ورسولهِ وانّ ذلك انّما كان منهم لأن منهم اهلَ دين واجتهاد في العبادة وترهّب في الاديرة والصوامع وانّ منهم علماء بكتبهم واهل تلاوة لها فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحقّ اذا عرفوهُ ولا يستكبرون قبوله اذا تبيّنوهُ وليس كاليهود الذين قد تدرّبوا بقتل الانبياء والرسل ومعارضة الله في امرهِ ونهيهِ وتحريف التنزيل الذي أُنزل في كتبهِ». (٥٠) فقد دلّت هذه الآية وتفسيرها على انّ النصارى اقرب الناس مودّة الى المسلمين وانّهم مجتهدون في الطاعة لله وبالنتيجة انّهم موحدون لا مشركون

قال الوزير: انّ النصارى المذكورين في القرآن غير نصارى هذا الزمان

قلت: لو كان النصارى المذكورون في القرآن غير نصارى هذا الزمان لَما وجب ان يُرضى منهم بالجزية المفروضة في القرآن والتي اخذوها من نصارى ذلك الزمان ولَمّا وَجبَ ان تؤكل ذبائحهم وتُنكح بناتهم كما كانت تُنكح بنات اولئك وتؤكل ذبائحهم. واذ يجري المسلمون في هذا الزمان مع النصارى مجراهم مع النصارى

المتقدّمين في الجزية والذبائح فثبت انّهم النصارى المذكورون في القرآن . وهكذا فهمه مفسّرو القرآن ولم يفرقوا بين نصارى زمانهم ونصارى غيرهم كانوا في عهد القرآن . قال ابو جعفر الطبري في تفسير قولهِ (سورة المائدة ع ٧) : « اليومَ أُحِلَّ لكم الطيّباتُ وطعام الذين أُوتوا الكتاب حِلٌّ لكم » فسَّرهُ الطَبَريّ بما نصُّهُ : « وطعام الذين أُوتوا الكتاب حلٌّ لكم وذبائح اهل الكتاب من اليهود والنصارى وهم الذين أُوتوا الكتاب(٥١) اي التوراة والانجيل أُوتوا بهما او باحدهما حلٌّ لكم دون ذبائح اهل الشرك الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب وعَبَدة الاصنام والاوثان ممَّن لم يُذكر توحيدُهم كما كان دين اهل الكتاب فهؤلاء حرام عليكم ذبائحهم » . فقد يدلّ هذا القول على انهُ قد حُرّم على المسلمين ذبائح اهل الشرك وانهُ لم يحلّل لهم غير ذبائح الموحّدين من اليهود والنصارى . واذا كان الامر على هذه وكان المسلمون مجمعين على ان اكل ذبائحنا حلال وجب على ان يُجمعوا على انّنا الموحدون المذكورون في القرآن . ولا يمنع توحيدَنا اقرارُنا بالاقانيم الثلثة . قال القاضي ابو بكر محمَّد بن الطيّب المعروف بابن الباقلاني في كتاب الطمس ما هذا شرحهُ : اعلم انَّ النصارى اذا حقَّقنا معهم الكلام في قولهم انَّ الله جوهر ذو ثلثة اقانيم (٥٢) لم يحصل بيننا وبينهم خلاف الّا في الاسم لانهم يقولون انَّ الله جوهر لا كالجواهر المخلوقة بمعنى انهُ قائم بذاتهِ والمعنى صحيح وانّما العبارة فاسدة لان الاسماء يُرفَع فيها الى اهل اللسان ولم يُطلِق عليهِ تعالى احدٌ منهم اسم الجوهر . وامَّا الكلام معهم في تثبيت النبوَّة كاليهود» . فان كان هذا القاضي يقول مثل ذلك فقد وجب على كلّ من يفضّلهُ ويقبل قولهُ الاعترافُ بان النصارى موحّدون

قال الوزير : امَّا قول ابن الباقلاني فتقليدٌ لم نقبلهُ . وامَّا الاقاويل الأُخر التي ذكرتَها فقد حسن موقعها في نفسي . ثم انفضَّ المجلس الثالث ولله المنَّة

المجلس الرابع

في تثبيت مذهب النصارى من موجب العقل والمُعجز

وفي اليوم الخميس الثالث من جمادى الآخرة استدعاني الوزير الى مجلسهِ فصرت

اليه . واوّل ما صرتُ اليهِ وجلستُ قال لي (٥٣) :

ما العلّة في محبّة اكثر الناس لأديانهم اكثر من محبّتهم لاحوالهم واسبابهم ؟

قلتُ : انَّ الناس في ذلك على ضربين فمنهم من يحبُّ دينهُ بالعادة والمتابعة لأسلافهِ ومنهم من يحبُّهُ لتحققهِ وصحّتهِ

قال : فمن اين يتحقَّق الانسان صحّة دينهِ ؟

قلتُ : امّا من العقل الصحيح واما من المعجز الالهيّ

قال : فمحبَّتك انت لمذهبك محبَّة العادة والمتابعة لأسلافك او محبَّة من يتحقَّق صحَّة مذهبهِ ؟

قلتُ : محبَّة من يتحقّق صحَّة مذهبهِ

قال : فتحقُّقك صحّة مذهبك من اي وجهٍ هو أمن العقل او من المعجز الالهي ؟

قلتُ : منهما معاً

قال : وكيف ذلك ؟

قلتُ : «امّا من العقل فلأنّي رأيتُ انَّهُ لا ينتقل احد من مذهب الى مذهب الّا لاحد امرين : امّا رَغبةً واما رَهبةً . فأمّا الرغبة فبمنزلة الصِلة والاموال والعطايا والإباحة في اللذّات والتنقّل من امرٍ صعب الى امرٍ سهل وما شاكل ذلك (٥٤) من الامور التي تتوق النفس اليها . واما الرَّهبة فمثل الخوف من القتل واستباحة الحريم وما شاكل ذلك مما تكرههُ النفوس

« ووجدتُ المتنقّلين الى مذهب النصرانيَّة فاذا هم لم ينتقلوا اليهِ لأحد هذين الامرين . وذلك لأنّ الداعين اليهِ كانوا السادةَ الرسل وكانوا ذوي فاقة ومسكنة لا أرباب اموال فيبذلونها لمن يتبعهم . لأنَّهُ يستحيل ان يكونوا ذوي اموال والكتاب الذي معهم يحثّهم على اطّراح الاموال والقِنَى الدنيويّة . ثمَّ لم يبيحوا ايضاً اللذّات لأنَّ الكتاب الذي في ايديهم يأمرهم باطّراح لذّة الطعام والشراب وترك الدنيا وسائر نعيمها . ولا نقلوا من امر صعب الى امر سهل لأنَّ كتابهم يأمرهم بضدّ ذلك

«ولا نقلوا المدعوّين الى النصرانيّة بالخوف والسيف والامور المفزعة لأنَّ الكتاب الذي معهم يأمرهم بالتواضع واحتمال المكاره والإحسان الى الأعداء والدعاء لهم وعَرض الدين على الناس بالقول مع الزهد (٥٥) في الدنيا وجميع لذّاتها . فمن قِبل

الدعوة ودخل في دين النصرانيَّة أُلزم بتفريق امواله واحتمال اعدائه وترك عزّة النفس والتفاخر بالدنيا . ومن لم يدخل فيه ناصبَ الداعي وقاومهُ وان رام قتلَهُ بذل الداعي نفسهُ لهُ حتى يقتلهُ من غير الاستغاثة عليهِ ببعض المخلوقين

«فلمَّا رأيتُ ذلك ووجدتُ انهُ قد دخل دينَ النصرانيَّة فلاسفةُ اليونان وحكماؤهم واممٌ كثيرة ومِلَل مختلفة وممالك متباينة مثل الروم والافرنج والبُلغر والقبط والنوبة والارمن والسريان والفرس والترك (١ واهل الصين وغيرهم من الامم لا لرَهبةٍ خافوها ولا لرغبةٍ رجوها علمتُ أنهم انَّما لم يدخلوا فيهِ الَّا لمعجزٍ الهيّ قادهم اليهِ . وهذا ممَّا استدللتُ بهِ من العقل على صحَّة مذهب النصرانيَّة

« فامَّا ما استدللتُ بهِ من المُعجز على (٥٦) صحَّة ذلك فهو انني شاهدت اشياء كثيرة عجيبة يجب على من شاهدها او بعضها ان يلزم نفسهُ للموت في محبَّة دينهِ . فممَّا شاهدتُهُ (٢ انَّهُ كان في عُمر مار ميخائيل في الموصل راهبٌ شيخ فاضل اسمهُ يوحنَّا ويُعرَف بالاعرج وكنتُ من بعض تلاميذهِ المتخصّصين بهِ . ولمَّا حصلتُ بالموصل وكانت لحُسام الدولة وجناح الدولة (٣ رحمهما الله أُقيم ناظرًا عليها من قبل احدهما ابو الحسن ابن سرور رحمهُ الله . فاستدعاني هذا الراهب في بعض الايَّام وقال لي : أُريد ان تمضي الى ابي الحسن ابن سرور وتقول لهُ عني ان يأخذ الحذر لنفسهِ بان يهرب او يستتر فانَّ نيَّة صاحبهِ قد تغيَّرت عليهِ وانا خائف عليهِ . فقلتُ : السمعَ والطاعة وانا ادخل اليهِ اذا أَمسى النهار وأَبيت عندهُ واعرّفهُ ما رسمتَهُ . فانفصلتُ عنهُ على هذا . فلمَّا اضحى النهار انفذ في طلبي دفعةً ثانية فمضيتُ اليهِ فقال لي : اعلمْ انَّ امر (٥٧) ابي الحسن قد قَوي وان انتصفَ النهار ولم يهرب خفتُ عليهِ والآن قم مُسرعاً فلعلَّك تُنذرهُ قبل ان يُؤخَذ . فقمتُ في الحال من باب قلَّايتهِ وتوجّهت الى

---

١) راجع في المشرق (١٦ [١٩١٣]: ٧٥٤–٧٧٢) مقالتنا في تنصُّر قدماء الترك والمغول

٢) من المحتمل انّ الخبر الآتي ليس بالمعجزة اذ امكن الراهب ان يعرف الامر من احد الغرباء . وفي النصرانيَّة من المعجزات الصحيحة عدد لا يُحيط بهِ احصاء ممَّا لا يمكن نسبتهُ الَّا الى الله

٣) حُسام الدولة هو المقلَّد بن السيّد من بني عُقَيل اصحاب العراق والجزيرة تولَّى الامر في الموصل السنة ٣٨٦هـ وقتلهُ الاتراك سنة ٣٩١ (٩٩٦–١٠٠٠م) وكان جناح الدولة وزيرهُ . امَّا ابو الحسين بن السرور فلم نجد لهُ ذكرًا في التاريخ

الموصل مُسْرعاً . فلمّا وصلتُ الى الدير الاعلى سمعتُ اذان صلاة الظهر فاسرعتُ في المشي ووصلتُ الى دار ابي الحسن فوجدتُهُ قد قُبض عليهِ في ذلك الوقت وهو مقيّد . فرجعتُ الى العُمر على حالي وعرّفتُ الراهب ما جرى . فاغتمّ ودعا لهُ بالخلاص ولمّا بكّرتُ اليهِ من الغد قال لي : اعلم انّ امر ابي الحسن يقرب ويخلص . وبعد ايّام يسيرة قُرّر امرهُ على شيءٍ قريب وأُفرج عنهُ ورُدَّ الى نظرهِ

«وشاهدتُ من هذا الراهب وغيرهِ اشياء عجيبة ليس يحتمل الوقت شرحها . ولم اورد هذا الخبر وانا أسوم الوزيرَ حرسهُ الله قبولهُ(٥٨) ولا غيرهُ من المسلمين ايّدهم الله لكنّي أستفتيهِ أستفتاء في ذلك فاقول : ماذا يقول الوزير فيمن شاهد هذا وحقّقهُ أليس هو حجّة الله عليهِ فيلزمهُ التمسُّك بالمذهب الذي شاهد ذلك منهُ

قال : اذا صحّ الخبر لزم التمسُّك بذلك الاعتقاد

قلتُ : «انا اقنع بذلك وامتثلهُ فاذا كان الامر على هذا ثبت انّ محبّتي لمذهبي ليست محبّة العادة والمتابعة لأسلافي لكنها محبّة مَن قد تحقّق صحّة مذهبهِ من العقل والمُعجز» . ثم عدل الوزير الى المفاوضة فيما لا يتعلّق بالدين . وانقضى المجلس . وكمل الفصل الرابع بمشيئة الله

المجلس الخامس

في براءة النصارى من كلّ مذهب يخالف الحقّ

وفي يوم السبت الخامس من جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الوزير فقال لي : اعلم اني شرحتُ للقاضي ابي يعلي المتكلّم حالَ المجالس التي جرت بيني وبينك (٥٩) وما سمعتُهُ منك في التوحيد فأنكرهُ وذكر انّ النصارى لايعتقدون شيئاً من ذلك وانّك اوردتَ ما اوردتَهُ رغبةً في ازالة الشبهة والفظاعة عن مذهب النصرانيّة . وحكى ان النصارى لا يتمكنون من الاقرار بربٍّ واحد ولا من القول انّ الله واحد وحدهُ لا شريك لهُ . فما عندك فيما ذكرهُ ؟

قلتُ : انا اكتبُ فصلاً بخطّي واعرضهُ بحضرة الوزير ايّدهُ الله فيعلم منهُ انّنا لا نعتقد الّا الهاً واحداً لا اله غيرهُ وانّ ما اوردتُهُ بالحضرة العالية اعتقدهُ انا واهل مذهبي

وبعد ما جرى بيني وبينهُ مذاكرة ومفاوضة فيما لا يتعلّق بالمذهب خرجتُ من عنده . وعند حصولي في قلّايتي كتبتُ فصلًا هذه نسختهُ :

يقول ايليًّا مطران نصيبين :

«انّنا معشر النصارى الموحّدين نؤمن بربٍّ واحد لا إله الّا هو وحدهُ . لا شريك لهُ في الازليّة ولا مثلَ لهُ في الذاتيّة (٦٠) ولا نظير لهُ في الربوبيّة . ولا صاحب لهُ يعاونهُ ولا ضدَّ يقاومهُ ولا نِدَّ ينازعهُ . وانهُ غير جسم وغير مركّب وغير مؤلّف وغير محسوس وغير متحيّز وغير متبعّض وغير مستحيل . فلا يشغل حيّزًا ولا يقبل عرَضاً ولا يحويهِ مكان ولا يحصرهُ زمان . قديمٌ بلا ابتداء باقٍ بلا انتهاء . خفيٌّ في ذاتهِ ظاهر في افعالهِ . منفرد بالقدرة والكمال متوحّد بالعظمة والجلال . مَعْدِن النعم وينبوع الحِكم . مُحدثٌ كلّ شيءٍ لا من شيءٍ منشئٌ كلّ الموجودات من غير مادَّة . وصانع الخلائق بامرهِ ومكوّن البرايا بمشيئتهِ . عالمٌ بالامور قبل كونها وعارف بالسرائر قبل إِضمارها . حيٌّ لا يموت ثابتٌ لا يزول قويٌّ لا يحول قادرٌ لا يعجز . قريب لكل احد مجيب لمن يدعوهُ مغيثٌ لمن يرجوهُ . كافٍ لمن يتوكّل عليهِ ملجأٌ لمن (٦١) يلتجئُ اليهِ . يديم النعم اذا قُوبلت بالشكر ويزيلها اذا قُوبلت بالكفر . يُعين الصالحين يجيب الطائعين . عدوّ العاندين قابل التائبين غياث المستغيثين . إله رحيم ربٌّ كريم خالقٌ حكيم . خلق الدنيا لمّا شاء وكما شاء ويفنيها اذا شاء كما شاء . ثمّ يأذن بالبعث والنشور ويحيي مَن في القبور . ويجازي الاخيار بايصالهم الى النعيم والاشرار بتخليدهم في الجحيم . الهٌ واحد خالقٌ واحدَ ربٌّ واحد معبود واحد . لا إله قبلهُ ولا بعدهُ ولا خالق الّا هو . ولا ربَّ غيرهُ ولا معبود سواه

« ونعتقد انَّ ذات هذا الربّ الذي هذه اوصافهُ (تقدّست اسماؤهُ) ونطقهُ وحياتهُ اعني كلمتهُ وروحهُ جوهرٌ واحد في ثلثة اقانيم آب وابن وروح القدس . ونتبرأ اليهِ جلَّ جلالهُ من كل من يعتقد انّ هذا الجوهر كالجواهر المخلوقة وانَّ هذه الاقانيم الثلثة (٦٢) هي ثلثة جواهر او ثلثة آلهة مختلفة او متّفقة او ثلثة اجسام مؤلّفة او ثلثة اجزاء او ثلثة اعراض معترضة او ثلث قوى مركّبة او غير ذلك ممّا يقتضي الشرك والتجزّئ والتبعُّض . ونتبرأ من كل من يعتقد انَّ نطق البارئ تعالى وحياتهُ اعني كلمتهُ وروحهُ عرضان او قوّتان مثل نطق المخلوقين وحياتهم . ومن كلّ من يعتقد انَّ لهذا

الاله الواحد نظيرًا او ضدًّا او يعتقد انهُ جسم مؤلف او مركّب. ومن كلّ من يعتقد انهُ يشغل حيزًا او يقبل عرَضاً. ومن كلّ من يعتقد انهُ ينتقل من مكان الى مكان او يكون في جهةٍ دون جهة او انهُ رُؤي او يُرى (٦٣) . ومن كلّ من يعتقد انهُ نكَحَ او ينكح او نَسَل او ينسُل او اتّخذ زوجة. ومن كلّ من يعتقد انهُ يقدر ان يَخلق الهاً مثلهُ او يعمل عملًا فيهِ فساد او قباحة. ومن كلّ من يعتقد انَّ لهُ ابتداءً او انتهاءً وانهُ خلق الخلائق من عنصرٍ او مادّة . ومن كلّ من يعتقد انهُ لا يعرف الاشياء قبل كونها او انهُ طبيعةٌ يدبّر العالم بطبعها . ومن كلّ من يجحد النبوّات وظهور الآيات على ايدي الانبياء والرسل الصالحين . ومن كلّ من يعتقد انَّ العالم قديم غير حديث ويجحد القيامة والبعث والآخرة . فكلّ نصرانيّ يعتقد ان مذهبنا يجيز هذه المذاهب التي تبرَّأتُ منها او انَّ لنا فسحةً في اعتقاد بعضها فلينكر ذلك عليّ » (٦٤)

ولمَّا كان من الغد حملتُ هذا الفصل الى الوزير وعرضتُهُ عليهِ . فلمّا قرأهُ قلتُ لهُ : أيجوز ان يُطلِق مثلي خطّهُ بما قد تضمّنهُ هذا الفصل وهو واهلُ بيتهِ يعتقدون غير ما يقتضيهِ مضمونهُ ؟

قال : لا

قلتُ : فقد بطل قول مَن حكي بحضرة الوزير ايّدهُ الله انّ النصارى غير موحّدين. وانَّ الذي اوردتُهُ عنهم هو غير ما يقتضيهِ اعتقادهم واني انّما قصدتُ بهِ فقط ازالةَ الشنعة عنهم

قال : الامرُ على ما ذكرتَ وانا اعتقد انّ كلّ من هو على هذا الرأي وهذا المذهب هو موحّد ولا خِلْف بينهُ وبين المسلمين الّا في نبوّة محمّد بن عبدالله

ثمّ قال: اريد اذا سرْنا من نصيبين ان تعمل رسالة في التوحيد تضمّنها جميع ما اوردتَهُ عليّ في هذه المجالس وتجعل اوّلها هذا الفصل وتختمها بآخرهِ وتضيف اليها ما تعلم انهُ مفيد ممّا لم يَجرِ في هذه المجالس

فاجبتهُ بالسمع والطاعة وامتثلتُ مرسومهُ بعد مسيرهِ فكتبتُ الرسالة على مقتضى مشورتهِ ورسمهِ وقد كنت انفذتُ اليك (١ ادام الله حراستك نسختها وهي

١) يريد ابا العلاء صاعد بن سهل المذكور في اوّل المجالس. اما المقالة التي يشير اليها هنا

آخر ما جرى معهُ في امر المذهب والسلام . تمّ الفصل الخامس ولله الشكر

(٦٥) المجلس السادس

في ذكر ما جرى من البحث في النحو واللغة والخطّ والكلام

وفي يوم الثلثاء الثامن من جمادى الآخرة حضرت مجلس الامير فقال لي : أَلكم من العلوم مثل ما للمسلمين ؟

قلت : نعم وزيادة وافرة

قال : وما الدليل عليه ؟

قلتُ : انَّ عند المسلمين علوماً كثيرة منقولة من السريان وليس عند السريان علمٌ منقول من عند العرب

قال : أَفلكم علم النحو واللغة وحسن الخطّ والكلام مثلما للمسلمين ؟

قلتُ : نعم

قال : فكيف نَحْوُ السريانيين من نحو العرب ؟

قلتُ : نحوُ السريانيين احسن واكثر فائدة واعظم فضيلة

قال : أترفعون الفاعل وتنصبون المفعول كما تفعل العرب ؟

قلتُ : لا

قال : فكيف تعرفون الفاعل من المفعول ؟(٦٦)

قلتُ : انَّ المفعول ليس يخلو ان يكون مجانساً للفاعل او غير مجانس فالمجانس هو مثل قولنا : « ضرب زيدٌ عمرًا » فعمروٌ مجانس لزيد اذ عمرو انسان وزيد انسان . ومثالهُ قولنا « قتل خالدٌ بكرًا » وسبقَ الفرسُ الاشقرُ الفرسَ الادهمَ ونطحَ الثورُ الاسودُ الثورَ الأَبيضَ وغير ذلك من الاشياء المتجانسة . وامَّا الذي ليس هو متجانس فمثل قولنا « خلقَ اللهُ العالمَ . ورحمَ اللهُ زيدًا . وركب زيدٌ الحمارَ واكل عمرُو الخبزَ وشرب بكرٌ اللبنَ » وما شاكل ذلك ممَّا مفعولهُ غير مجانس لفاعلهِ

« فلمَّا رأى السريانيُّون الفاعلَ والمفعول على هذين القسمَيْنِ وانَّ المفعول لايلتبس بالفاعل الَّا اذا كان مجانساً لهُ الَّا في النادر حسبما أَبَيْنَهُ أَدخلوا على المفعول المجانس

فقد سبق حضرة الانب لويس معلوف بنشرها في المشرق (اطلب المقالات الدينيّة القديمة ص١٢٩)

للفاعل حرفَ اللام كما يُدخلهُ العرب على المفعول في بعض كلامهم نحو قولهم : « قال زيدٌ لعمرو . ودعا خالدٌ لبكر » . ولم يُدخلوا هذا الحرف على المفعول الذي لا يجانس الفاعل اذ لا يلتبس بما تقدَّمَ عليهِ او تأخَّرَ عنهُ كما لا يلتبس قولنا « خلَقَ اللهُ العالمَ » (٦٧) سواءٌ تقدَّمَ اسمُ العالم على اسم الله او تأخَّرَ عنهُ اذ يستحيل ان يكون العالم خالقاً والله تعالى مخلوقاً . كما لا يلتبس قولنا « رحمَ اللهُ زيداً وركبَ زيدٌ الحمارَ واكلَ عمروٌ الخبزَ وشربَ بكرٌ اللبنَ » ومــا شاكل ذلك ممَّا لا يلتبس تقدَّمَ المفعول او تأخَّرَ أُعرب ام لم يُعرَب . فبإدخال اللام على المفعول المجانس لفاعلهِ عرف السريانيُّون المفعولَ من الفاعل تقدَّم او تأخَّر

« وقد يتَّفق في النادر ان يكون مفعولٌ غيرَ مجانسٍ لفاعلهِ ويجوز وقوع الفِعْل منهما معاً نحو قولنا « ضرب زيد الفرس » فقد يُحتمَل ان يكون المراد بهذا القول انَّ زيداً ضربَ الفرسَ ويُحتمل ان يُرَاد بــهِ انَّ الفرسَ ضربَ زيــدًا . فكلُّ مفعولٍ هذه صفتُهُ يُدخل السريانيُّون عليهِ ايضاً اللام ليُفرَق بينهُ وبين فاعلهِ . ولمَّا كان العرب انَّما يرفعون الفاعل وينصبون المفعول ليفرقوا بينهما وكان للسريانيين علامة تدلُّهم على الفرق بين الفاعل والمفعول هي أَبينُ من الرفع والنصب ما احتاجوا ان يرفعوا الفاعل وينصبوا المفعول كما تفعل العرب (٦٨)

قال : وما الدليل على انَّ ادخالَ حرف اللام على المفعُول أَبيَنُ من رفع الفــاعل ونصب المفعول في الفرق بينهما ؟

قلتُ : لأنَّ حرف الــلام يفرقُ بين كلّ فاعل ومفعول وليس الرفع والنصب كذلك . وذلك اذا قلنا : « ضربتْ سَلمَى السَّكْرَى . وكسرتِ العصا الرحى . وقتل سيبويهِ خالويهِ » لم يَفرق الرفعُ والنصب بين فاعل هذه الافعال ومفعولها . وكذلك يجرى الامر في سائر الاسماء التي لا تنصرف

قال : فما فضيلةُ لغة السريانيين على لغة العرب ؟

قلتُ : انَّ فضيلة لغة السريانيين على لغة العرب هي انَّ كلام السريانيين ما فيهِ التباس اذا تكلَّم بهِ احدٌ مشافهةً ولذلك استغنى عن النحو فيما يُشافِهُ بهِ بعضُهم بعضاً . وامَّا كلام العرب فكثيرًا ما يُلتبَسُ بهِ في المشافهة . والــذي يلتبسُ منهُ على ضربَين : فمنهُ مــا يكشفُ النحوُ والإعراب لَبسَهُ كقول القائل : « ضرب زيدٌ

عمرًا وضربَ عمرًا زيدٌ. واكرم خالدٌ بكرًا واكرمَ بكرًا خالدٌ» فانَّ السامع يعلم انَّ زيدًا (٦٩) هو الضارب لانهُ مرفوع وعمرًا مضروبٌ لأنَّهُ منصوب. وخالدًا مُكرِمٌ لأنَّهُ مرفوع وبكرًا مُكرَمٌ لأنَّهُ منصوب. وما شاكل ذلك من الاقاويل التي لولا الاعراب لألتبست

« وامَّا ما لا يزيل النحوُ لُبسَهُ كقول القائل « ضرب عيسى موسى. وقتل القاضي الغازي. ورَحمَ وكيلي خازني» وما شاكل ذلك من الاقاويل التي لا يتميَّز فاعلها من مفعولها. وممَّا يلتبس ايضاً ولا يكشف الاعراب لُبسهُ كقول القائل « لقيتُ زيدًا مسرورًا » فان السامع لا يعلم صاحب الحال وهل المتكلّم هو المسرور او زيد. ومثلهُ: « لقيت عمرًا خجِلًا. ولقيتُ بكرًا مهمومًا» وما شاكل ذلك. واذا كان الامر على هذا ولم يكن في كلام السريانيين اذا تكلَّموا به مشافهةً ما يلتبس بهِ كلام العرب التباساً يكشف النحوُ بعضهُ وبعضهُ لا يكشفهُ عُلِمَ انَّ لغة السريانيين افضل من لغة العرب ؟

قال: وما فضيلة نَحْوُ السريانيّينَ على نَحْو العرب ؟ (٧٠)

قلتُ: « انَّ فضيلة نَحْوُ السريانيين على نحو العرب انَّما هي انَّ نَحْوَ السريانيين ضروريٌّ ونَحْو العرب اصطلاحيٌّ. ويفضلهُ ايضاً بأنَّ نحو السريانيين ضروريٌّ يزيل اللبس الواقع في الكتاب ونحو العرب ليس يزيلهُ. فانا ابيّن ذلك بامثلةٍ اذكرها فاقول:

« انَّ الكلام مؤلَّف من جُمَل. والجُمل مؤلَّفة من مبتدإٍ وخبرٍ ومن فعل وفاعل ومن خبرٍ واستخبار وطلبٍ وسؤَال وامرٍ ودُعاء وتعجُّب وغير ذلك. وقد تلتبس معاني هذه الاقسام بعضها ببعض اذا كُتبت. فمن ذلك اختلاط جملة في جُملة نحو قول القائل « وصل المصريُّون والشاميُّون والعراقيُّون لم يصلوا » فهذا قولٌ مؤلَّف من جملتَيْن ويُحتَمَل ان يكون المراد بهِ «انَّ المصريين والشاميين وصلوا وانَّ العراقيين لم يصلوا». ويحتمل انَّ المراد بهِ انَّ المصريين وصلوا وانَّ الشاميين والعراقيين لم يصلوا. فاذا تكلَّم المتكلّم بهِ بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً علم السامع من اشارات المتكلّم ونَغَمات صوتهِ هل المصريُّون والشاميُّون وصلوا كلهم او المصريين وصلوا ولم يصل الشاميُّون والعراقيُّون. فهذا القول اذا كُتب بالسريانيَّة فانَّ قارئهُ يفهم معناهُ كما يفهمهُ اذا سمعهُ مشافهةً. وكذلك ايضاً يفهمهُ من يسمع قراءتهُ

بالسريانيّة . فامّا اذا كُتب بالعربيّة فلا القارئ ولا السامع يفهمان معناهُ (٧١)

فلذا السبب وقع الخلف بين علماء المسلمين في قولهِ الوارد في القرآن (سورة آل عمران ٥) : «وما يعلم تأويلَهُ الّا الله والراسخون في العلم قالوا : آمنّا » فقال بعضهم انّ الله والراسخين في العلم يعلمون تأويلهُ . وقال آخرون انّ الراسخين لا يعلمون تأويلَهُ وانّما آمنوا بهِ فقط . فنحوُ العرب ليس يدلُّ على حقيقة ذلك كما يدلُّ نحوُ السريانيين على المراد بهذا القول لو كان سريانيًّا

«ومن ذلك التباس المبتدإ بالخبر والخبر بالمبتدأ نحو قول القائل : « زيدٌ غلامُ عمروٍ » فانَّ هذا القول يُحتمل ان يكون كاملًا تامًّا مركّبًا من مبتداٍ وخبر بانَّ زيدًا مبتدأ وعمرًا خبرُهُ . ويُحتمَل ان يكون كلُّهُ مبتدأ يقتضي خبرًا نحو قول القائل : «زيدٌ غلامُ عمروٍ فاضلٌ»فقولهُ «زيدٌ غلامُ عمروٍ» مبتدأ(١ وقولهُ «فاضل» خبرهُ . ويحتمل ان يكون خبرًا لمبتداٍ قد تقدَّمهُ نحو قول القائل «الوارد من الموصل زيدٌ غلامُ عمروٍ فقولهُ «زيدٌ غلامُ عمروٍ» مبتدأ مع بدلهِ وقولهُ «الوارد من الموصل» خبرهُ واذا تكلم المتكلم بهذا القول الذي هو « زيدٌ غلام عمروٍ » بالسريانيّة او بالعربيّة مشافهةً يفهمُ السامع ايَّ قسم اراد بهِ المتكلم من هذه الاقسام الثلثة (٧٢) وكذلك اذا كُتب بالسريانيَّة . وامَّا اذا كُتب بالعربيّة فلا يعلم القارئ ولا السامع غرض المتكلّم فيهِ

« ومن ذلك التباس الإخبار بالاستفهام نحو قول القائل : « عالمٌ بالبصرة » فانَّ هذا القول يُحتمَل ان يكون استفهاماً واذا تكلّم بهِ المتكلّم بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً يعلم السامع عن اشارات المتكلم هل هو مُخبِرٌ او مُستفهم . وكذلك اذا كُتب بالسريانيَّة يعلم القارئ والسامع ذلك . وامَّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا القارئ ولا السامع يعلمان غرض الكاتب بهِ الّا بأن يقدَّم عليهِ حرف الاستفهام

ومن ذلك التباس الامر بالطلب نحو قول القائل : «أَعطِني مائة درهم» فانَّ هذا القول يحتمل ان يكون سؤَالًا . واذا تكلّم بهِ المتكلّم مشافهةً بالسريانيَّة او بالعربيَّة يعلم المخاطَب بهِ من اشارات مخاطِبهِ هل هو مأمور او مسئول . وكذلك اذا كُتب هذا القول بالسريانيَّة فانَّ قارئهُ ومن يسمعُهُ يعلمان أهو امر او سؤَال . وامَّا اذا كُتب بالعربيَّة فليس يعلم ذلك القارئ ولا السامع

١) لا يُريد المبتدأ مع بدلهِ «غلام عمروٍ»

اذا كُتب بالعربيَّة فليس يعلم ذلك القارئ ولا السامع

« ومن ذلك التباس الإخبار بالدعاء (٧٣) نحو قول القائل : « غفر الله لك» فقد يحتمل هذا القول ان يكون خبرًا ويحتمل ان يكون دعاء فاذا تكلّم بهِ المتكلّم بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً علم السامع غرض المتكلّم · وكذا اذا كُتب بالسريانيَّة يعلم القارئ والسامع ذلك · امّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا يعلمان الغرض فيهِ ما هو

« ومنهُ التباس السؤال بالتعجُّب نحو قول القائل : « كيف خربت المدينة» فقد يحتمل هذا القول سؤالًا ويحتمل ان يكون تعجُّبًا · واذا ورد مشافهةً يعلم السامع الغرض منهُ وكذلك اذا كُتب بالسريانيَّة · وامّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا يُعلم الغرض منهُ · واذا كان الامر على هذا فقد ثبت انَّ نَحْو السريانيين يكشف ما لا يكشفهُ نحوُ العرب

قال الوزير : « وانَّما يُفيدنا نَحْوُ العرب معرفة معاني كثيرة ملتبسة مثل القول (٧٤) الوارد في القرآن (سورة التوبة ع٣) : «انَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولُهُ» فانَّهُ لولا الإعراب توهّم السامع او القارئ انَّ الله بريءٌ من المشركين ومن رسولهِ · ومثلهُ قولهُ (سورة الملائكة ع ٢٥) : « انَّما يَخْشَى اللهَ من عِبادهِ العُلَماءُ » فانهُ لولا الاعراب توهّم السامع والقارئ انَّ الله يَخْشى من العلماء · ومثل ذلك اقاويل كثيرة لولا الاعراب لالتبست على السامع والقارئ »

قلتُ : « انهُ قد يتَّفق انَّ اقاويل كثيرة لا يكشف النحوُ لُبسها مثل هذين القولين · واذا كان الامر على هذا فلا فخر في قولَين يكشف الاعراب لبسهما بالاتّفاق وهو لا يكشف لُبس اقاويل كثيرة مثلهما · فمن ذلك قول من يقول : « انَّ الله بريءٌ من المشركين وعيسى وموسى » ومثلهُ : « انَّ الله بريءٌ من المشركين وسيبويهِ » او « بريءٌ من المشركين وملّتي » او « بريءٌ من المشركين ومرشدي الى الحقّ » (٧٥) فانَّ هذه الاقاويل جميعها ممّا لا يكشف الإعراب لُبسها كما كشف لُبس قولهِ « انَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولُهُ »

« ومن ذلك ايضاً قول من يقول : «انَّ اللهَ يعاقبُ المشركين ورسولَهُ »ومثلهُ لَعلَّ اللهَ يرحمُ المظلومين ورسولَهُ» فانَّ النحو لا يكشف لُبس هذه الاقاويل كما

كشف لُبس قوله «انَّ اللهَ بريءٌ من المشركين ورسولَهُ»

وكذلك قول من يقول: انَّما يسمع اللهُ من علمائهِ وموسى» ومثلهُ «انَّما يخاف وكيلي من اصحابي وخازني» وما شاكل ذلك ممَّا لا يكشف النحوُ لُبسَهُ كما كشف لُبس قوله: «انَّما يخشى اللهَ من عبادهِ العلماءُ». واذا كان الامرُ على هذا فقد (٧٦) ثبت انَّ نَحو العرب ليس يكشف لُبس كلّ الاقاويل الجارية في الكلام وانما يكشف لُبس بعضها بالاتفاق . على خلاف نَحْوِ السريانيين الذي يكشف لُبس كلّ الاقاويل كشفاً واحداً»

قال الوزيرُ: وكيف استخرج علماء السريانيين نَحْوهم وعلى ايّ اصول رتَّبوهُ؟

قلتُ: «انَّ علماء السريانيين ابتدأوا فأحكموا كلامهم إحكاماً لا يلتبس عليهم شيءٌ منهُ اذا تكلَّموا بهِ مشافهةً. ثمَّ بعد ان أحكموا ذلك وأتقنوهُ حدَّدوا اقاويل كثيرة لا تلتبسُ مشافهةً وانَّما تلتبس في الكتابة مثل اختلاط جملةٍ في جملة . والتباس المبتدإ بالخبر والخبر بالمبتدأ . والتباس الخبر بالاستفهام والسؤال بالطَّلب. وغير ذلك من اقسام الكلام المقدَّم ذكرها

« فبحثوا عن السبب الذي من اجلهِ لا تلتبس تلك الاقاويل اذا تكلَّموا بها مشافهةً وتلتبس في الكتابة عند سائر اهل الكتابة والخطوط (٧٧) فوجدوا انَّ السبب في ذلك هو اشارات المتكلم ورفعُ صوتهِ وخفضُهُ ولينُهُ وقوَّتهُ حسبما يقتضيهِ معنى الكلام. وذلك انَّ المتكلّم اذا كان سائلاً تكون اشاراتهُ غير اشاراتهِ اذا كان مستخبراً. واذا كان مخبِراً تكون اشاراتهُ غير اشاراتهِ اذا كان داعياً. واذا كان مستفهماً تكون اشاراتهُ غير اشاراتهِ اذا كان مُخْبِراً فجعلوا لكل قسمٍ من هذه الاقسام علامةً وهي نقطةٌ او نقطتين او اكثر يضعونها على القول واذا شاهدها القارئ علم ما هو المعنى وقرأها بالاشارات التي يعرفها الحاضر عند سمعها

« وذلك انهُ اذا رأى القارئ على القول علامة الاستفهام قرأَ ذلك القول باشارات الاستفهام. واذا رأى عليهِ علامة التعجُّب او علامة الامر او علامة النداء قرأَهُ باشارات التعجُّب او الامر او النداء. واذا شاهد عليهِ علامة القطع بين الجملتين وقف وقفاً يدلُّ على القطع . وكذلك اذا شاهد عليهِ علامة انقضاء المبتدإ وابتداء الخبر قطع

قطعاً يدلُّ على ذلك . ولهذا السبب لا يلتبس (٧٨) على السريانيين شيءٌ من كلامهم وكِتابهم . واذا كان الامر على هذا فقد عُلم ان نحو السريانيين اجود من نحو العرب « وذلك انَّ نحو العرب تابعٌ لكلام العرب مرتَّبٌ على ما يقتضيهِ كلامهم المصطلح عليه . ونحو السريانيين مبنيٌّ على اصول عقليَّة وقياسات ضروريَّة . وقد بيَّن ابو بكر محمّد بن زكريَّا الرازي في كتاب الطبّ الروحاني في الفصل الخامس منهُ انَّ نَحْو العرب من العلوم الاصطلاحيَّة الضروريَّة . وحُكي عن بعض الشيوخ العلماء انهُ قال في نحو العرب : انهُ علمُ مَنْ لا عِلمَ لهُ يفرحُ بهِ من لا عقل لهُ . وبيَّن ايضاً حنين ابن اسحاق في المقالة الثالثة من كتابهِ في نحو العرب انَّ العرب ليس لهم نحوٌ يعرفون منهُ المعاني الغامضة كما للسريانيين (٧٩) . ويستدلُّ من قولهِ انَّ نَحْوَ العرب غير كافٍ ولا مُقنع لِما يُحتاج اليه . ولم أَقُلْ ذلك وانا أَقصد الطعن في نَحْو العرب ولا ان أَجحد فضلهُ وشرفهُ وانَّما قصدتُ من ذلك ان ابيّن انَّهُ اذا قِيسَ نَحْو العرب بنحو السريانيين وُجد نحو العرب دونهُ ووُجد نحو السريانيين اكثر فائدةً واعظم فضلًا »

*

قال الوزير : وكيف علمُ اللغة عندكم ممَّا عند المسلمين ؟

قلتُ : انَّ علم اللغة ضروريّ عند سائر اهل اللغات بهِ تقوم معرفة الاشياء وإثباتها ومعرفة الافعال وتصريفها والحروف ومعانيها ومعرفة الزوائد والحذف والفكّ والادغام وغير ذلك من التصريف وللسريانيين في ذلك معرفة تامَّة

قال الوزير : أفيستعملون المجاز في كلامهم كما يستعملهُ العرب ؟

قلتُ : لا يستعملون المجاز الَّا ضرورةً عند الحاجة اليهِ لأَنَّ استعمالهُ لغير ضرورة عيبٌ لا فضيلة . وذلك ان الكلام كلَّهُ على ضربَين (٨٠) حقيقة ومجاز / فاذا كان حقيقةً كانت فيهِ كلفةٌ على المتكلم وسُهولةٌ على السامع . لأَنَّ الكلام اذا كان حقيقةً لا يلتبس واذا كان مجازًا كان سهلًا على المتكلم مشتبهاً على السامع لأَنَّ اللَّبس لا يقع في الكلام اذا كان حقيقةً وانَّما يقع فيهِ اذا كان مجازًا . فلذلك ليس نرى استعمال المجاز الَّا لضرورةٍ كما نستعملهُ في قولنا : « سَخط اللهُ ورضيَ وسمع وابصر » وما شاكل ذلك ممَّا نوردهُ مجازًا اذ ليس بوسعنا استعمالهُ حقيقةً . وامَّا استعمال المجاز حيث يُمكن استعمال الحقيقة فهو عندنا عيبٌ وعجزٌ من المتكلّم »

قال الوزير: لو كان المجاز عيباً لَمَا كان اكثر القرآن مجازًا

قلتُ: أسأل الوزير ايَّده الله ان يُعفيَني من الكلام في مجاز القرآن

قال الوزير: انهُ من المعلوم انَّ لغة العرب اوسع من سائر اللغات

قلتُ: وما الدليل على ذلك ؟

قال: الدليل على ذلك اننا نجد لشيءٍ واحد عند العرب اسماءً كثيرة وليس عند السريانيين ولا عند غيرهم الَّا اسمٌ واحد للشيء وربَّما لم يكن لهُ عندهم اسمٌ اصلًا (٨١)

قلتُ: امَّا الاشياء التي لها عند العرب اسماءٌ كثيرة فهي الاشياء التي يستعملونها كثيرًا ويشاهدونها دائمًا مثل السيف والفرس والجمل والاسد والحمار وما شاكل ذلك. واقوى الاسباب في كثرة اسماء هذهِ الاشياء عندهم هو كثرة طوائف العرب واختلاف لغاتهم. ولجميع هذه الاشياء اسماء عند السريانيين وربَّما كان للشيء الواحد اسماء كثيرة عندهم حسب اختلاف البلدان واللغات. واما القول بانَّ عند العرب اشياء ليس لها اسماء عند السريانيين فمُنكر اذ ليس عند العرب شيءٌ لهُ عندهم اسمٌ يكون اسمهُ خالياً عند السريانيين. وانما اسماء الاشياء السخيفة القبيحة التي يَستهجن الانسان ذكرها فانها في لغة العرب كثيرة الاسماء وفي لغة السريانيين قليلة حسبما ذكرهُ حنين بن اسحاق في كتابهِ الموسوم بكتاب النُّقَط اعني نقط الكتب

« ومما يدلُّ على انَّ لغة العرب ليست اوسع من غيرها انَّ عند السريانيين والروم والفرس اسماءً كثيرة مفيدة ليس لها عند العرب اسمٌ فمن ذلك العقاقير والادوية والآلات وغير ذلك (٨٢) من الاشياء المستعملة فانَّ اسماءها عند السريانيين والروم والفرس موجودة وعند العرب معدومة. والدليل على ذلك انَّا نجد في كتب الطبّ والطبخ وغير ذلك من الكتب المنقولة الى العربيّ اسماء كثيرة قد أُخرجت اليهم بلغة السريانيين واليونانيين والفرس اذ لم يُوجد لها عند العرب اسماءٌ تُسمَّى بها. ولو نُقل الى السريانية كتاب من كتب العرب لَمَا كانت فيهِ لفظة يتعذَّر وجود نظيرها عند السريانيين. واذا كان الامر على هذا فليس لغة العرب باوسع من لغة السريانيين »

*

قال الوزير: وكيف الخطّ السرياني من الخطّ العربيّ في الحسن والصحَّة والفائدة

قلتُ : « الخط السرياني اوضح واكثر فائدة من الخط العربيّ .

قال الوزير : وكيف ذلك ؟

قلتُ : «لأَنَّ الحروف السريانية غير منقَّطة وغير متشابهة • والحروف العربيَّة كثيرة التنقيط ومتشابهة (٨٣) كتشابه الباء والتاء والنون والياء • والجيم والحاء والخاء • والدال والذال • والراء والزاي • والسين والشين • والصاد والضاد • والطاء والظاء • والعين والغين • والفاء والقاف • وفي كثرة التنقيط كلفة على الكاتب ولَبس على القارئ • وتشابُهُ الحروف مُشكل حتى ان في القرآن وهو محفوظ بالدرس ومشكول ومضبوط خلفاً كثيراً بين القرَّاء بسبب إشكال النقط وتشابه الحروف • ومن ذلك في سورة البقرة (ع ٢٦١) قولهُ : وانظرْ الى العظام كيف نُنشِزُها» فقرأَها قومٌ بالدال وقومٌ بالراء • وفي سورة طه (ع : ٩٦) : « لم يَبصُروا بـه » قرأَهـا قومٌ بالتاء «لم تبصروا » • وفي سورة الانبياء عن داود (ع ٨٠) : « وعلَّمنـاهُ صنعةَ لَبوسٍ لكم لِتُحصِنَكُم » فقرأَها قومٌ بالياء «لِيُحصِنكم» وآخرون بالنون «لِنُحصِنَكُم» • وفي سورة الحجّ (ع ٦١) : « يَدعون من دونهِ » قرأَها قومٌ بالتاء « تدعون » ومثل هذا في القرآن كثير اختلف فيه القرَّاء • ومعلوم انهُ لو كانت هذه الحروف غير متشابهة (٨٤) لما وقع هذا الخلف في القرآن

وقد اتَّفق في المكاتبات بين البشر لاجل تشابه الحروف مـا يتجاوز عددُهُ الوصف كقولهم : « اقبلوا القوم» و« اقتلوا القوم» وما شاكل ذلك ما لا يُحصى ولا يُعَدّ

وممَّا يدلُّ على انَّ الذين استخرجوا الخط العربي لم يُحكموا الامر في تشكيل الحروف ولا في تسميتها هو انهم سمَّوا اكثر الحروف المتشابهة باسماء متشابهة في الخط وذلك مثـل الباء والتاء والثاء فانَّ هذه الحروف اذا كُتبت كانت اشكالها متشابهـة ايضاً • وكذلك الحاء والخاء وبقية الحروف السابق ذكرها وكلُّها مما يلتبس اسمهـا وكتابها • واذا كتب الكاتب لفظةً فيها حرف من هذه الحروف المتشابهة واراد ان يبيّنهُ ثنَّى بذكرهِ ورقمهُ مصغَّراً تحت الحرف المشبوه لكنَّ تلك التثنية لرسم الحرف لا تفيد كثيراً لتشابه الحرفين • وكذلك تشابه اسم الحرف باسم الحرف الذي يشبهـهُ مثال ذلك ان يكتب (٨٥) الكاتب « نقَصَتْ » ثم يتبعهُ بقولهِ «بالصاد لا بالضاد» فليس يفيد قولهُ غير إعادة اللفظة • ولو كان اسم الصاد لا يشبه اسم الضاد لكان لقولهِ

فائدة بيّنة . وعلى هذا القياس يجري الامر في سائر الحروف المتشابهة . وهذا التباسٌ لا يدخل مثلهُ في خط السريانيين »

قال الوزير : فهل حروف السريانيين تتصل بعضها ببعض كما تتصل حروف العرب؟

قلتُ . نعم . فيها ما يتّصل وفيها ما لا يتّصل لكن لا فائدة في اتّصالها ولاضرورة في تفريقها

قال الوزير : وكيف ليس فائدة في اتصالها وهو احسن للخط واسرع في الكتابة وأَبين للقارئ ؟

قلتُ : ليس في اتصال الحروف ما يحسّن الخطّ ولا ما يُعين على سرعة الكتابة ولا ما يزيد في البيان (٨٦) . وذلك انهُ قد يتّفق في الخط العربيّ الفاظ كثيرة مركّبة من حروف مقطّعة اذا أُلّف منها كلام وكُتب يوجد الخط فيهِ مساوياً للخطّ المتّصل الحروف في الحسن والسرعة وهو أَبيَنُ للقارئ واوفق للضبط والشكل

« وقد جرت لرجلٍ روميّ كان يكتب بالعربيّة مع بعض المسلمين مشاجرة في هذا المعنى فاستخرج فصولًا بالعربيّة مؤلّفة من الفاظ مركّبة من حروف مقطّعة فبيّن انّ لا فائدة في اتصال الحروف ولا ضرورة في تفريقها . ومن جملة ما اورد هذا الفصل : «ورد داود الازرق واوّل وِرْدِهِ لازمَ دَرْبَ دادان الازدي وزرع ارض زردق ارزًّا وروض لاون وردًّا»

فمعلوم انهُ اذا كُتب هذا الكلام وما يجري مجراهُ ممّا هو مؤلف من حروف مقطّعة (٨٧) كان الخط فيهِ مساوياً للخط المتّصل الحروف في الحسن والسرعة وهو أَبين للقارئ واوفق للضبط والشكل منهُ . وبالعكس لو كتب الكاتب « جبيخل» وهو اسم اعجميّ متّصل الحروف مركّب من جيم وباء وياء وخاء ولام فليس يتمكّن الكاتب من نَقْطهِ وشكلهِ وهو متصل الحروف كما يتمكن من نَقْطهِ وشكلهِ لو كان متفرق الحروف . وكذلك « سَجَحَ وسَحَجَ وشَحَجَ . وحَجَرَ وجَحَرَ وخَجَرَ ومثل ذلك مما لا يُحصى ممّا لا يقع التمكين من نَقْطهِ وشكلهِ اذا كان متّصل الحروف . فاذا كان الامر على ما ذكرتُ فليس للخط العربي فضيلة على الخط السرياني ولا في اتصال الحروف فائدة . وان كان في اتّصالها فائدة فالخط العربي والسرياني مشتركان فيهِ

*

فقال الوزير : فكيف علمُ كلام النصارى من علم كلام المسلمين ؟(٨٨)

قلتُ : « انَّ علم الكلام عند النصارى أبين وأوضح وأصحّ منهُ عند المسلمين لأنهُ مبنيّ على مقتضى شرعهم وموجب كتابهم وليس يوافقهم على اصولهِ وحدودهِ الّا من يوافقهم على المذهب . وكلام النصارى هو علم المنطق وهو مبنيّ على مقتضى العقل واصول القياس فليس يخالفهم فيهِ احد لأنهُ يجري مجرى الحساب الذي لا خلف فيهِ عند سائر اهل الملل . ولذلك ترى درسهُ ونصرة دينهم منهُ ومن استعمالهم قوانينهُ في مناظرة مخالفيهم

قال الوزير : انَّ المسلمين يرون ان درس علم المنطق وغيره من العلوم الفلسفية كفرٌ وإلحاد حتى انهم يعتقدون فيمن يطّلع فيها انهُ زنديق

قلتُ : «لا شك في ان اعظمَ مواهب الله تعالى على العبد موهبةُ العقل . وعلمُ المنطق مما يهذّب العقل . فكل شرع ينفي علم المنطق هو مضادّ للعقل . ويلزم من يعتقد انَّ المنطق مضادّ للدين اقامته الدليل على انهُ ضدّ العقل ليصح قولهُ انهُ ضدالدين والدين لا يصحّ الّا بصحة العقل(٨٩) . وهذا مما لا يتعاطاهُ احد ممن يطلبون علم المنطق ولا ادَّعاهُ . ونرى جميع المسلمين حرسهم الله يذمّون هذا العلم وقد كان فيهم علماء . درسوهُ طمعاً في نَقضهِ ولم يتمكن احد من ذلك »

قال الوزير : انَّ المسلمين لم يمنعوا من درس المنطق والعلوم العقلية . ولا يعتقدون انها تضادّ العقل وانما منعوا منها لأن الاشتغال بها يقطع عن النظر في العلوم الشرعيَّة

قلتُ : انَّ الاشتغال بجمع المال وطلب الرئاسة والمنازل العالية والحرص بالاكل والشرب والجماع يقطع عن النظر في العلوم الشرعيَّة اكثر مما يقطعهُ الاشتغال في العلوم العقليَّة . فكان يجب على المسلمين حرسهم الله ان يزهدوا في جمع المال وطلب الرئاسة والمنازل العالية والاكل والشرب وسائر الشهوات الجسديَّة اكثر من تزهيدهم بدرس العلوم العقليَّة (٩٠) اذا كان قصدهم في التزهيد بالعلوم العقليَّة التوفُّر على العلوم الشرعيَّة . لأنَّ الشهوات الجسديَّة اعني محبَّة العزّ والرئاسة والمال والجماع تبعث على الظلم والغشم والتغلُّب والعلومَ العقليَّة تبعث على العدل واتباع الحق والتمسك بالشرع . واذا كان الامر على هذا فدرس كتب المنطق محمود غير مذموم »

قال الوزير: انَّ لهذا القول ومما تقدَّمهُ من القول في النحو اجوبةً ليس يتَّسع المجال لذكرها. على انك واللهِ ما تعدَّيتَ فيما اوردتَهُ في هذه العلوم ولا علمتُ انَّ للنصارى مثلها

وانقضى المجلس بحسن الفصل السادس ولله المنَّة وخالص الشكر

المجلس السابع

في اعتقاد النصارى عن احكام النجوم وعن المسلمين وجوهر النفس

وفي يوم الخميس العاشر من جمادى الآخر حضرتُ مجلس الوزير فقال لي : ما الذي تعتقدهُ في احكام النجوم ؟

اعتقاد النصارى في احكام النجوم

قلتُ : الذي اعتقدهُ فيها هو انها تصحُّ في الكلّيَّات لا في الجزئيَّات

قال : وما معنى قولك انَّها تصحُّ في الكلّيَّات لا في الجزئيَّات ؟

قلتُ : «معنى ذلك انَّها تصحُّ فيما يعمُّ كلَّ احدٍ ويتساوى فيهِ اهلُ كلّ بلدٍ مثل الكسوفات (٩١) وتغيير الازمنة والاهوية والحرّ والبرد ونحو ذلك مما يتعلّق بالشمس وفعلها وباتّصال القمر والكواكب بها . وامَّا فيما يخصُّ زيدًا او عمرًا فليس يصحُّ حكمُها لانَّ ذلك ممَّا يؤدي الى الإجبار ويمنع ان يكون الانسان مخيَّرًا في اعمالهِ

« والدليل على انَّ الانسان مخيَّر غير مُجْبَر هو انَّ الامور على ثلاثة ضروب : ضَروري ومُمكِن وممتنَع . فالضَّروري نحو قولنا : « الناطق حيٌّ » . فهذا قول صادق بقِسْم الضَّرورة لأنهُ ليس ناطق الّا حيًّا . والمُمكن كقولنا : « زيد جالسٌ فهذا مما يجوز ان يكون صدقاً ويجوز ان يكون كذباً . لانهُ يجوز ان يكون زيد جالساً ويجوز ان يكون قائماً او نائماً . والممتنع نحو قولنا : « زيد يطير » فهذا قول كاذب اذ لم يُسْمَع انَّ الانسان يطير (١ . واذا كان الامر على هذا وثبتت الامور الثلثة بطَلَ ان تكون احكام النجوم صحيحةً . وذلك لانَّها مبنيَّةٌ على انَّ جميع ما يجري في العالم توجبهُ حركة (٩٢) الكواكب . فما اوجبَتْهُ لا بُدّ من كونهِ وما لم توجبْهُ لا يمكن وقوعهُ وليس قسمٌ ثالث

١) يريد الطيران الطبيعيّ لا الطيران الصناعي بالادوات كما نرى في مهدنا

« ولو كان الامر على هـذا بطَلَ ان يكون الانسان مخيَّرًا ولزم ان يكون مُجْبَرًا مكرهاً . ولو كان هذا الامر صحيحاً لما وجب ان يرتأي الانسان في اموره ولا ان يشاور احدًا فيا يعملهُ ولا ان يُحمَد على الخير او يُذَمّ على الشرّ لأنَّ كلًّا منهما حَتْمٌ لازمٌ لا بُدَّ من وقوعِهِ سواء اختارهُ الفاعل ام لم يَختَرْهُ . وهذا باطل من موجب العقل وقوانين المنطق . والدليل عليهِ انهُ اذا امتحن الانسان علم احكام النجوم وجدهُ علماً اصطلاحيًّا لا طبيعيًّا وانهُ يجري مجرى الزَّجر (١ والفأل (٢ والكاف (٣ والكهانة (٤ وما شاكل ذلك من الامور التي لا حقيقة لها ولا بُرهان يدلُّ على صحَّتها كاحكام علم الحساب وعلم الهيئة المنسوبَين الى الفضلاء (٩٣)

ثمَّ انَّ احكام النجوم متى عدل الانسان في اموره اليها انفسدت احوالهُ وذلك انَّ اكثر موهبةٍ وهبها اللهُ الانسان موهبة العقل . فربَّما اقتضى رأيَ الانسان فِعل امر من الامور واوجب حكمُ النجوم التوقُّف عن ذلك الفعل فيخالف رأيهُ وعقلَهُ ويتبع حكم النجوم فيشطّ ويغلط . وقد رأينا خلقاً كثيرًا من الناس عرضتْ لهم حوائج عند السلطان وغيرهِ واقتضى الرأي والحزم تقديم الحركة في ذلك واقتضى بخلاف ذلك حكمُ النجوم التوقُّفَ فاعتمدوا على مُوجب حكم النجوم ففاتهم مطلوبهم

«ويلزم ايضاً مَن يفعل بهذه الاحكام ويعتقد صحَّتها احدُ امرين امَّا ان يفضّلها على عقلهِ وامَّا ان يفضِّل عقلهُ عليها . فانْ فضَّلها على عقلهِ لزمهُ متى حدث لهُ امرٌ يقتضي رأيهُ وعقلهُ فِعلَهُ او العدول عنهُ ويقتضي حكمُ النجوم ضدَّ ما اوجبهُ عقلهُ (٩٤) ان يعدل عن موجب عقلهِ الذي هو اكبر مواهب الله تعالى عندهُ الى احكام النجوم . ومتى فعل ذلك فقد تجاهل وغرَّ بنفسهِ وربَّما عطبَ كما قد رأينا كثيرين عطبوا عند سلوكهم هذه الطريقة . وانْ فضَّل عقلَهُ عليها فلا حاجة لهُ اليها

قال الوزير : فقد رأينا لاصحاب النجوم إصاباتٍ عجيبة تدلُّ على صحَّة هذا العلم

قلتُ : وقد رأينا لاصحاب الزَّجر والفال والكاف والكهانة اصاباتٍ بالاتّفاق

١) يريد بالزَّجر التفاؤل بطيران الطائر ميامنةً او مياسرة ٢) الفأل التيمُّن بالخير

٣) علم الكاف هو علم الكيميا القديمة المبنيَّة على الاوهام غالبًا (l'Alchimie)

٤) الكهانة السحر

اعجب من إصابات احكام النجوم حتّى رأينا وسمعنا عن الزرّافين (١ انهم يأتون بامور تجري مجرى المعجز . ورأينا ايضاً عجائز يطرحنَ بالشعير والحصى فيُصِبْنَ بالاتّفاق اصابات ظريفة . وليس نسلّم مع ذلك انّ هذه علوم صحيحة . فاذا كان الامر على هذا فليس يجب ان نجعل اصابات المنجّمين دليلاً على صحّة الاحكام . ومن الصحيح الذي لا شكّ فيهِ انّ من تمسّك(٩٥) باحكام النجوم عَدِمَ من التوفيق بمقدار تمسّكهِ بها والعلّة في ذلك انهُ يخالف الشرعَ الذي قد فُرض عليهِ اعتقادهُ والعقلَ الذي هو اكبر مواهب الله عندهُ . ومن خالف عقلَهُ فقد جحد نعمة الله عليهِ

قال الوزير : والله قد زهّدتَني كلّ التزهيد في هذا العلم

اعتقاد النصارى في المسلمين

ثمّ سألني وقال : وكيف اعتقادكم في المسلمين وفي غيرهم من مخالفيكم ؟

قلتُ : «انّ الذي نعتقدهُ في المسلمين حرسهم الله هو انهُ تلزمنا طاعتُهم ومحبّتهم اكثر ممّا تلزمنا طاعة جميع اهل الملل والممالك المخالفة لنا سواء كنّا في بلادهم ام خارجين عنها سواء احسنوا الينا ام لم يُحسنوا . وذلك لانّ المسلمين يرون صيانتَنا وإعزازَنا والاحسان الينا ديانةً وفرضاً . ومَن تعدّى علينا منهم كان صاحبُهم اي نبيُّهم خِصمَهُ يوم القيامة . وشرعُهم يحمدنا ويميّزنا من بين (٩٦) سائر اهل الملل وامّا المجوس والهند والصابئون (٢ وسائر المخالفين لنا فليس يرون إجمال مقالتنا والاتّقاء علينا اذا حصلنا ذمّةً لديهم ديانةً لكن سياسةً وليس يُبقُون علينا ان ابقوا ولا يُجملون معاملتنا ان أجملوا الّا سياسةً . واذا كان المسلمون حرسهم الله يرون تَركَ اذيّتنا واجمال معاملتنا والاحسان الينا ديانةً وغيرهم انّما يفعل ذلك سياسةً فتلزمنا طاعة المسلمين ومحبّتهم اكثر ممّا يلزمنا لغيرهم من مخالفينا

«وممّا يوجب علينا ايضاً ذلك انّ المسلمين يعترفون بالمسيح ويعتقدون انهُ كلمة الله وانّهُ حيٌّ في السماء والمللُ الاخرى تجحدهُ وتعتقد فيهِ انهُ ساحر كذّاب قد مات وبليَ في الارض وليس يجوز ان يكون عندنا اهلُ ملّةٍ يعتقدون في المسيح الاعتقاد

١) الزرّاف السريع الحركة كالمشعوذ ٢) يريد بالمجوس عبدة الشمس والنار وبالهند اهل الهند الوثنيين وبالصابئين عبدة السيّارات والكواكب

الاوّل ولو اساءوا الينا وتعدَّوْا علينا مثل اهل الملل الأُخَر التي تعتقد في المسيح الاعتقاد الثاني ولو احسنَ اهلُها الينا وانعموا علينا

«ثمّ انّ المسلمين ايضاً حرسهم الله(٩٧) اذا ظلمونا وآذونا ثمّ رجعوا الى شَرْعهم وجدوهُ غير حامدٍ لهم على اذيّتنا وظلمنا واهــلُ الملل الاخر اذا اكرمونا واحسنوا الينا ورجعوا الى شرعهم وجدوهُ غير حامدٍ لهم على ذلك. فاذيّة المسلمين لنا وتعدّيهم علينا وهم يعتقدون انهم مخالفون لشرعهم فيما يفعلونهُ معنا من ذلك احبُّ الينا من إحسان غيرهم ممّن يعتقد انهُ مخالف لشرعهِ في احسانهِ الينا

« وايضاً ليس ملّة من الملــل المخالفة للاسلام اقرب مَوَدَّةً للمسلمين من ملّــة النصارى لأنّ جميع الملل المخالفة للمسلمين تخالفهم فيما لا تخالفهم فيهِ ملّة النصارى. فان المجوس والهنود والصابئين يخالفون المسلمين في موسى والمسيح ومحمّد بن عبدالله واليهود يخالفونهم في المسيح ومحمّد بن عبدالله امّا النصارى فما يخالفونهم الّا في نبوّة محمّد بن عبدالله. ومع مخالفتهم لهم في ذلك فهم يدعون لدولتهم ويسألون الله تعالى دوامها وان يسبغ عليهم رحمتهُ في الآخرة ويوفقهم لطــاعتهِ ويغفر ذنوبهم ويورثهم النعيم في الآخرة (٩٨)

« وامّا الملل الأُخر فمع بُعدها من المسلمين اكثر من بُعد النصارى فليس فيهــا ملّة تستجيز بان يدعوا لهم بما يدعو لهم بهِ النصارى - واذا كان الامر على هذا فقد وجب على النصرانيّ ان لا يخالف المسلم اذا سامهُ ما لا يخــالف شَرْع احدهما اعني شرع الاسلام او شرع النصارى ومتى خالفهُ فقد خالف الله تعــالى الذي فرض علينا الطاعة للسلطان بعد طاعة الله . وشرعُنــا يتضمّن انّ من خالف امر السلطان فقد خالف امر الله تعالى. فكلّ نصراني يخالف المسلم اذا سامهُ ما يخالف شَرْع الاسلام او شرع النصرانيّة فقد اطاع ذلك النصرانيّ الله تعالى في تلك المخالفة وأحسَنَ الى ذلك المسلم واستحقّ الشكر منهُ اذ نزّهَهُ من مخالفة دينهِ وشرعهِ . وذلك انهُ قد فُرض على المسلم ألّا يُكرِهَ النصرانيَّ على دينهِ وفروضهِ ولا يغصبهُ شيئاً من حقوقهِ ولا يقصد اذيّتهُ والتحامل عليهِ

فمتى حفظ المسلم هذه الفروض لزم النصرانيَّ أن لا يخالفهُ في سواها (٩٩). وذلك مِثلُ مستورٍ يلتمس من نصرانيّ مُوسِرٍ ما يدفع بهِ ضيقتهُ. ومثلُ مسلم يقع في شدّة

ويلتمس من نصراني ان يساعده مساعدةً يقدرُ عليها . ومثلُ مسلم يَسُوم نصرانياً ان يُعيره جاهَهُ في حاجةٍ تعرضُ لهُ او يدفع عنهُ اذيّةً يتمكّن من دفعها بالحيلة او بالقوّة . ومثلُ مسلم مظلوم يهربُ من ظالمهِ ويلتجئ الى النصراني وما شاكل ذلك من المؤاسيات التي ينتفعُ بها المسلم وليس فيها مخالفة للشرع فانـهُ يلزم النصراني المسارعة اليها والمساعدة عليها اذ ليس فيها عليهِ مضرّة في دينهِ

فهذا ما يلزم النصارى للمسلمين وكذلك يلزم المسلمين للنصارى ان يقرّبوهم ويُحسنوا اليهم ويعزّوهم اكثر من سائر الملل وان يعتمدوا صيانتهم وتجنُّب ظلمهم وكفّ الاذيّة عنهم وعن بِيَعهم وبيوت صلواتهـم وإكرام متقدّميهم (١٠٠) وألّا يُعارضَ حكّامُ المسلمين حرسهم الله حكّامهم في احكامهم . واذا جاء بعض النصارى الى حاكم المسلمين يلتمس ان يحكم بينهُ وبين نصراني آخر مثلهِ يردُّهُ الى اهل دينهِ وحكّامهِ

قال الوزير : انَّ القرآن الشريف يوجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين النصارى وغيرهم

قلتُ : انَّ القرآن انّما يوجب ذلك على حاكم المسلمين اذا رضي الذمّيّان من اهل الكتاب بحكمهِ امّا اذا رضي احدهما وامتنع الآخر فليس لحاكم المسلمين ان يُكره الممتنع الى الرضا بحكمهِ . واذا تراضى النصرانيّـان بحكمهِ فهما مخيّران ان يحكم فيهما او لا يحكم لقول القرآن (سورة المائدة ع ٤٦) : « فان جاءوك فاحكُمْ بينهم او أَعرِض عنهم وإنْ تُعرِض عنهم فلن يضرُّوك شيئاً وان حكمت فاحكمْ بينهم بالقِسْط» فقولهُ «ان جاءوك فاحكم بينهم» يستوعب الخصْمين وقولـهُ « او أَعرض عنهم» يدلُّ على التخيير اذا حضر الخصمان . والفقهاء المفسّرون مُجْمعون على ذلك (١٠١)

قال الوزير : واللهِ لقد قرَّرتَ في نفسي وجوب حقِّ النصارى على المسلمين الّا الاشرارَ منهم فانّهم لا يستحقُّون على مذهبك الّا القتل

قلتُ : والاشرار من المسلمين ايضاً ما يستحقُّون على مذهبك الّا القتل

قال : الامر على ما ذكرت

اعتقاد النصارى في النفس

ثم قال الوزير : أيعتقد النصارى انَّ النفس جوهر كما تعتقد الفلاسفة او انّها عَرَض

كما يعتقد المسلمون ؟

قلتُ : الذي تعتقدهُ النصارى انَّ النفس جوهرٌ لا عَرَض .

قال الوزير : وما الدليل على ذلك ؟

قلتُ : الدليل على ذلك هو انَّ العَرَض لا تحلُّ فيهِ الاعراض ولا تتعاقبُهُ الاشياء المتضادَّة . ونرى النفس تدخل عليها الاعراض وتتعاقبها المتضادّات مثل العلم والجهل والتقوى والفسق (١٠٢) والخير والشرّ . فلو كانت عرضاً لما تعاقبت هذه المتضادّات عليها .

« ومما يدلُّ ايضاً على ذلك المنامات التي يراها الانسان في الحلم فانَّ الانسان يرى في حال نومهِ اموراً غائبة او بعيدة او مستقبَلة وحواسُّهُ ساكنة باطلة وجسدُهُ كالمَيت لا يحسُّ فيدلُّ ذلك على انَّ النفس ترى تلك الرؤيا وتحفظها ثمَّ اذا استيقظ الجسد تتذكرها وتعرّفهُ ايّاها . فلو كانت النفس عرضاً لما جاز ان ترى الغيب وتتصوَّرهُ وتحفظهُ وتذكرهُ بعد وقتٍ اذ ليس ذلك من صفات العرض (١ فاذا كان الامر على هذا عُلم انَّ النفس جوهر لا عَرَض . ولمَّا كان هذا الجوهر يرى عند سكون الحوادث وبطلانها ما هو (١٠٣) افضل مما يراهُ الجسد وهو مستيقظ وحواسُّهُ متّصفة بافعالها عُلم ان هذا الجوهر افضل من جوهر الجسد اذ الجسد لا يرى الشيء الغائب والنفس ترى ذلك

قال الوزير : انَّ الكلام في النفس كثير وليس هذا وقتهُ .

ثم قال : « اريد ان تكلّف الرهبان الفضلاء في الأعمار والاديرة التي تحت يدك وبالقرب منك ان يدعوا لي ويسألوا الله مساعدتي على اموري »

قلتُ : « انَّ الرهبان ليس يدعون للانسان بان يطيل الله عمرهُ ولا ان يزيد مالهُ ولا ان يُكثر نسلَهُ (٢ وانَّما يسألون الله ان يصنع به ما لهُ فيهِ الخيرة وَقَعَ ذلك بموافقتهِ ام لم يقع وأَن يُصلح نيَّتهُ ويوفّقهُ الى طاعتهِ . فانَّ بصلاح النيَّة والتوفيق

١) انَّ في الاحلام قسطاً كبيراً للمخيّلة التي هي من القوى المشتركة بين النفس والجسد كالذاكرة

٢) ليس من مانع يمنع الرهبان ان يطلبوا ايضاً هذه الخيرات الزمنيَّة بشرط الرضى بمشيئتهِ تعالى وانَّما يفضّلون الناس الخيرات الروحيَّة

يكون صلاح الشأن وبلوغ الامل لأنّ الانسان اذا كان موفّقاً جيّد النيّة لا يؤمّل ولا يتمنّى الّا ما يبلغهُ ويصل اليهِ ولم يتأسّف عليهِ اذا فاتهُ تأسّفاً يؤلم قلبهُ . فان كان الوزير اطال الله بقاءهُ يقتنع مني بذلك (١٠٤) تقدّمتُ الى رهباننا بمواصلة الدعاء لهُ فان رام الاشياء الاخرى فلا يسوّم القوم ما ليس بشائع عندهم

قال الوزير : انّ الذي اريدهُ واتمنّاهُ ليس احد امرين اما عزّ في الغاية واما زهد في الغاية . فاني لا اطمع في الزهد لانّ عادتي قد جرت بكثرة مَنْ يخدمني والزاهد يحتاج الى ان يخدم نفسهُ وهذا ممّا لا سبيل اليهِ . واما العزّ فنفسي تهواهُ وتتمنّاهُ ومع قلّة طَمَعي فيه فاني لست مؤيساً منهُ . واذا كان الرهبان لا يدعون للانسان بما يتمنّاهُ من امور الدنيا فأُريد ان يدعوا لي بما فيهِ الخيرة وان كانت الخيرة مقرونة بضدّ ما اتمنّاهُ

فأجبتُهُ الى ملتمسهِ وكان ذلك قبل مسيرهِ من نصيبين بثلثة ايّام وكان قد جرى لي معهُ في هذه الثلثة ايّام كلام في مسائل تتعلّق باخلاق النفس وآداب الرهبان والزهّاد (١٠٥) وبالعلوم العقليّة ممّا تجنّبتُ ذكرهُ لطوله . وبعد مسيرهِ اجتمعتُ مع الرهبان في الاعمار المحروسة وخاطبتهم في ما كان التمسهُ الوزير فتواردوا جميعهم بالدعاء بان يصنع الله اليهِ ما لهُ وللناس فيهِ المصلحة الشاملة

ثمّ عاد الى نصيبين بعَوْد الحضرة النَّصْريّة[١] حرس الله عزّها يوم الخميس الثامن من ذي القعدة واقام بها خمسة وعشرين يوماً وجرى لي معهُ فيها مذاكرات ومسائل عدّة في اعتقاد اليهود وتاريخ آدم وغيرهِ من التواريخ القديمة وتغيير اليهود لها وفي الآثار العلويّة وغير ذلك ممّا يطول شرحهُ

وعاد ايضاً الى نصيبين دفعة ثالثة ودخلها يوم الاحد السابع عشر من جمادى الاولى من هذه السنة وهي سنة ثمانية عشرة واربعمائة واجتمعتُ معهُ فقال لي : «اعلم اني احسّ بوجع في احشائي . والشيخ ابو سعد اخوك[٢] كان قديماً يراعي امري ثمّ

١) اراد بهِ ابا نَصْر احمد بن مَرْوان الكردي صاحب ديار بكر وميّافارقين لقّبهُ القادر بالله الخليفة العبّاسي نَصْر الدولة وملك بلاد ديار بكر اثنتين وخمسين وكانت وفاتهُ سنة ٤٥٣هـ وقد قارب الثمانين من عمره وكان موفّقاً في امورهِ عادلاً كبير الثروة

٢) يظهر انهُ اخٌ ثانٍ لمطران نصيبين غير الذي وجّه اليهِ رسالتهُ وانهُ كان متطبّباً

أهملني فأريد ان تعاتبهُ على فعلهِ . ولمّا اجتمعتُ مع الاخ حرسهُ الله عرّفتهُ ذلــك فقال (١٠٦) لي : « اعلم انني كنتُ أُراعي امر هــذا الرجل ثمّ انني رأيتُ في منامي في بعض الليالي كأني دخلتُ اليهِ على الرسم ووصفتُ لهُ ما يستعملهُ وخرجتُ من عندهِ . واذا في صحن دارهِ ستّة اشخاص او سبعة من لابسي الصوف بزي الاساقفة . فقال لي احدهم وهو رجلٌ شيخ : أتعرفني ؟ قلتُ : لا . قال : انا شمعون (١ وانَّ الله لا يريد ان يشفي هذا الرجل أفتريد ان تشفيهُ بشدّة ؟ قلتُ : لا يا مار شمعون . وانتبهتُ ومن ذلك اليوم لم اتجاسر على ملازمتهِ لعلمي انهُ لا تطول مدّتهُ »

وقد تمّ الامر ايّها الاخ الجليل كما ذكر فــانَّ الوزير بعد أن اقام بنصيبين عشرة ايّام عاد الى ميّافارقين وبعد مدّةٍ قريبة قوي مرضهُ وتوفّي يوم الاحد الحــادي عشر من شهر رمضان أنسى الله في أجلكَ وجعل لك اطول الاعمــار مع احسن الاحوال واكمل الافعال (١٠٧)

ولولا تجنبي التطويل لضمّنتُ هذه الرسالة جميع ما جرى لي معهُ من الكلام في المسائل المقدّم ذكرها . وان آثرتَ ادام الله حراستك ذكر ذلــك ذكرتهُ في رسالةٍ أخرى واصدرتها اليك

ولمّا كانت هذه الرسالة تتضمّن في امر المذهب وغيرهِ ما ربّما شكّ فيهِ احدٌ من بين المسلمين لقلّة بصيرتهِ في العلوم البيعيّة رأيتُ ان اجمع في كتاب آخر شواهــد من الكتب المقدّسة في التوحيد والتثليث والاتّحاد والحلول والرؤيا وغير ذلك من المعاني المقدّم ذكرها وان اجعل ذلــك سريانيًّا وعربيًّا لتتحقّق صحّتهُ ويقرب فهمهُ . وعند الفراغ منهُ بمشيئة الله أبادر بهِ اليك فالله يوفقك في جميع متصرّفاتك ويجعل سعادتك (١٠٨) . متزايدةً جزيلةً مع الساعات تزايدًا لا يقف عندهُ نهاية ويبلغك في دينك ودنياك غاية الآمال والامنيّة ويستجيب منك صالح الادعية بصلوات الطــاهرة ام النور وجميع القديسين آمين

وبعد اتمامي هذه الرسالة أيّها الاخ الجليل ادام الله حراستك رأيتُ انفاذَها قبل وقوفك عليهــا الى الشيخ الجليل القسيس الملفــان الفيلسوف ابي الفرج عبدالله بن

١) قد عُرف كثيرون من الاساقفة باسم شمعون ولا نعلم ايّهم اراد هنا

الطيّب (١ كاتب قلّاية الجثلقة ادام الله تأييده ليتأمّلها ويذكر ما عنده فيها . فعند وصولها اليه وبعد تأمّله مضمونها كتب بخطّه في آخرها ما هذه حكايتهُ :

«قرأتها ودعوت لبقاء قدس واضعها ابينا المعظّم صلواتهُ على العالم وهو على الحسن والصحّة والموافقة للكتب البيعيّة ولا يمكن من يحبّ الحقّ أن يرفع لفظةً منها (١٠٩) . وكتب عبدالله بن الطيب بخطهِ»

وأجاب عن الكتاب الصادر اليه في معناه بما نُسختُهُ بعد السلام والدعاء والثناء :

« . . . قبل الخادم والتلميذ الاصغر خطّ اليدين المقدّستين المطهّرتين اطال الله بقاء سيدنا وابينا الاب المعظّم في السماء والارض الكاهن الحقيقيّ الفائض بالقدس والطهارة الذي اذا قال أخرس واذا فعل أبهر المطران الاجلّ ادامهُ الله العلوّ والبسطة وحفظ العالم بصلواته وصانَ به زمانهُ واستولت البركات عليه نفسيّةً وجسميّةً . ونشكر الله الكريم حيث خصّهُ بهذه الموهبة ومنحهُ هذه المنحة . ثمّ يعلن انهُ امتثل بقراءة الجدال الذي سُرَّ بقراءته فتنزّه في تلك الرياض الشرعيّة والعقليّة المبهرة وعلم انّ الروح نطق على ذلك اللسان كما نطق مزمار الروح القدس على سواه . وقد وجدهُ من الصحّة بحيث يُذعن لـهُ المُعاند فضلًا من ان يطرب لـهُ الموافق للحضرة المقدّسة المطهّرة المؤيّدة بالنعم الالهيّة والمواهب السماويّة الحاوية العلوم والفضائل . . . ليسعد في دنياهُ وأخراهُ ان شاء الله (١١٠)

وقد جاء في آخر النسخة المصونة في الفاتيكان تحت العدد ١٠٠ :

تمّت رسالة الاب الفاضل ايليا مطران نصيبين واعمالهـا النسطوريّ الى ابي العلاء صاعد بن سهل في ذكر المجالس التي جرت بينهُ وبين الوزير ابن عليّ المغربيّ . وكُتب عن نقـل السيّد المطران انبا ثاوفيلوس مطران دمشق واعمالها نيّح الله روحهُ ونوّر ضريحهُ وجعل لنا معهُ حظًّا ونصيبًا يوم الدين بشفاعة السيّدة ام النور مريم الطاهرة البتول وجميع القديسين . يا رب سامح الناسخ المسكين بخطاياهُ «كامَنْتي كراجلي» وقع الفراغ من نسخها يوم الثلثاء المبارك في اواخر شهر تشرين الاوّل سنة ١٧١٤ . وقـد نُسخ في مدينة رومية عن نسخة عتيقة فيها مكتوبة في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر آب سنة الف ومائتين واثنتين واربعين للتجسّد الالهي لذكره السجود والاكرام

وهذا ختام النسخة المصونة في المكتبة المارونيّة الحلبيّة : « تمّت الرسالة وذلك يوم الجمعة اثني عشر تشرين الآخر سنة ١٩٤٢ يونانيّة (١٦٣١ مسيحيّة) »

---

١) العلّامة البغداديّ النسطوري ابو الفرج المعروف بابن الطيب الذي ذكرنا سابقًا تآليفهُ (راجع العدد الثالث من السنة الحاليّة ص ٢٨٤)

خلاصة ترجمة ابي القاسم الحسين بن علي المغربي

انَّ الوزير ابن المغربي المذكور في هذه المجالس كان من مشاهير زمانهِ وقد خصَّهُ ابن خلكان في كتابهِ وفيات الاعيان بترجمة واسعة ويرقي هناك نسبهُ الى ملوك العجم الساسانيَّة . كان اوَّلًا مقيماً في مصر في دولة الفاطميين فقتل الملكُ الحاكم بامر الله اباهُ وعمَّهُ واخويهِ سنة ٤٠٠هـ(١٠١٠م)فهرب هو الى الرملة ثمَّ الى الحجاز وأثار اصحابها على الحاكم حتَّى خاف الحاكم على ملكهِ . ثمَّ قصد العراق هارباً من الحاكم ولاذ بفخر الملك ابي غالب الوزير وتولَّى في العراق والموصل عدَّة اعمال وقُلّد وزارة الملك مشرف الدولة البويهي وكان آخر ما انتهى اليهِ امرهُ أن قصد ابا نصر ابن مروان الكردي صاحب ديار بكر وميافارقين فوزر لهُ الى وفاتهِ في ١٣رمضان سنة٤١٨في ميافارقين ونُقلت جثَّتهُ الى الكوفة فدفن في تربة مجاورة لمشهد الامام عليّ . وكان بلغ من العمر ٦٤ سنة . وكان اديباً شاعراً لهُ ديوان شعر ومن تآليفهِ كتاب الايناس صغير الحجم كثير الفائدة وكتاب ادب الخواصّ وكتاب المأثور في مُلَح الخدور وغير ذلك

رسالة لاهوتية تاريخية على مذاهب النصارى

للشيخ عفيف بن مومل

عُني بنشرها وتطبيق حواشيّها القس ايلياس بطارخ الرومي الملكي

توطئة

انَّ ما طرأ على علم العربيَّة في هذا الزمان من نهضة كتَّابها ونشاط أربابها وسعي الكثيرين لاقتباس أساليبها لأمرٌ يستحقّ المدح لاسيَّما ما باشرهُ بعضهم من نشر مؤلفات الاقدمين الكرام الكنسيّين والعامّيين . فان المشرق اخرج من طي خزانة المكتبة الشرقية بعض مقالات نفيسة لبولس الراهب اسقف صيدا على الملكية (١ وحضرة الخوري الفاضل قسطنطين الباشا نشر ميامر المؤلف الرفيع الشأن ثاودورس أبي قرَّة اسقف حرَّان . وعلاوة على ذلك فان سيادة الاب غرافن في باريس (٢ يهتمّ في نشر مؤلفات الكتبة المسيحيين الشرقيين العربية والسريانية كما نشر سابقاً الطيب الذكر مين مجموع الاباء اليونانيين واللاتينيين . ولحقه في هذا الميدان

١) وظهرت ايضاً في بيروت مقالة بولس الراهب في الفِرَق المتعارفة من النصارى في زمانه صدَّرها ناشرها بهذا العنوان : «رسالة لاهوتيَّة تاريخيَّة لبولس الراهب اسقف صيدا على الملكية» . وبعد ذلك نشر المشرق الاغرّ المقالة نفسها . قابلنا بين الطبعتين فوجدنا طبعة المشرق اتمّ رواية الَّا في مواضع يسيرة

2) **R. Graffin, F. Nau:** Patrologia Orientalis, *M. M. Firmin Didot 56, rue Jacob, Paris.*

حضرة الاب شابو(١ العالي الهمّة ونحن نتمنى للجميع كل توفيق ونجاح

فاحتذاء بغيرة هولاء الإخوان أحببنا اليوم ان نُتحف القرّاء برسالة «الشيخ الرئيس الفاضل الفيلسوف والعالم المحرّر المحقق عفيف بن الشيخ المكين بن مؤمل» وقد نسخنا هذا المؤلَّف النفيس من مكتبة دير القبر المقدس في اورشليم وذلك بإذن حافظ مخطوطاتها الارخدياكونوس كلاوپا كيكيليدس الجزيل الاحترام الذي يطيب لنا ان نقوم بشكره ههنا لِما له علينا من الايادي البيضاء لكونهِ سوّغ لنا نسخ المخطوطات العربية واليونانية ورسم بعض صفحاتها عند الحاجة بالتصوير الشمسي

اما المخطوط الذي نحن بصدده فهو العدد المئة والواحد من المخطوطات العربية (٢ عددُ صفحاته ٢٨٩ وقياسها (0m, 225×0m, 155) وهو مجموع مقالات لاهوتيّة وميامر دينية نخصّ بالذكر منها مؤلفات بولس الراهب اسقف صيدا وسليمان مطران غزّة وعفيف بن مؤمّل وجراسيموس رئيس دير مار سمعان العمودي الواضع كتاب الكافي في المعنى الشافي

غير ان تاريخ المخطوط لم يذكر والمُرجَّح ان اوّل الكتاب (وجه ١-٨٢) وآخرهُ (١٦٠-٢٧٥) نُسخا في الجيل السابع عشر ونِصف الكتاب (١٢٥-١٣٩) نُسِخ سنة ١٧٧٥ مسيحية. على انه يصعب علينا تعريف المؤلف ولم نجد له ذكرًا في مخطوطات المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين الافاضل في بيروت. ولم يذكره البارون دي سلان في قائمتهِ للمخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الوطنية الباريزية

وربّما عاش عفيف بن مؤمل في اواخر الجيل الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر. لأنهُ يذكر في رسالته مطران نصيبين دون تعريف آخر كأنّ معاصريه يعرفون هذا الاسقف الشهير. ومطران نصيبين هذا ما هو الّا ايليّا الثالث ابن الحديثي المعروف بابي الحليم والمشهور بموضوعاته اللاهوتية والحكمية. وعاش في الجيل الثاني عشر (١١٢٨-١١٩٠) (٣ وكان عفيف من الملكيين اذ يقول في مُفتتح الفصل الثالث: « اعلم انّا نحنُ الملكيّة »... ويستبان من كلامهِ انه كان له إلمام بالفلسفة المعروفة بالفلسفة المدرسيّة. بيد انه اخطأ في قوله ان النفس قديمة. وتعبيرهُ عن سرّ الثالوث الاقدس يحتاج الى شروحات في بعض الأحيان كما سنبيّن ذلك فيما بعد

(f. 70v) بسم الله الخالق الحي الناطق

قال الشيخ الرئيس الفاضل الفيلسوف والعالم المحرّر المحقّق عفيف ابن الشيخ المكين ابن مؤمّل رضي الله عنه

1) **Chabot : I. Guidi** etc. CORPUS SCRIPTORUM CHRISTIANORUM ORIENTALIUM, *Poussielgue*, 15 *rue Cassette*, *Paris*.

2) Κατάλογος ἀραβικῶν χειρογράφων τῆς ἱεροσολυμιτικῆς βιβλιοθήκης, ὑπὸ τοῦ Ἀρχιδ. Κλεόπα Κοικυλίδου

٣) بل الاحرى ان المؤلف يريد اسقف نصيبين ايليا ابن شينا المتوفّى سنة ١٠٤٩م ويشير الى مجالسهِ التي نشرناها في الاعداد السابقة من المشرق ل. ش

فاتحة القول

الحمد لله الذي هدانا الى العلم بوحدانيته واطلعنا على تصوّر وجوده وجوهريته واظهر لنا سرّ تثليث صفاته وأقانيمه . وأخفى عن الخلق حقيقتهُ وماهيّتهُ وخصّنا بالدخول تحت نيره لعبادته وعبوديته . نحمده على ما أولانا من الانعام ونشكره دائمًا على ممرّ الايام

وبعد فقد امر من لا يُخالَف بانشاء رسالةٍ مختصرة مشتملة على مذاهب النصارى وما ذهب اليه كل فريق منهم والإبانة عن الحقّ الأبلج واستواء المنهج والردّ على مخالفي الحقّ بما يسوّغه العقل السليم والنظر المستقيم . فأجبتُ الى ذلك امتثالًا لاوامرهِ مع علمي بتقصيري واني غير كفوء لـهُ اذ كانت إقامةُ البرهان العقلي على ذلك شاقّةً لبُعدهِ عن الأذهان العاميّة ونفور طباعهم عنه . وكان المُبرهَن عليه يحتاج الى ضرب الامثلة . وليس لنا شيء من الامثلة في الخارج الّا وهو مخلوق مركّب واقلّهُ من المادّة والصورة . امّا جوهر الباريْ تعالى اسمهُ واقانيمهُ فبسيطة غير مخلوقة . ومن البيّن ان المخلوق لا يقاس به البسيط والّا وقع الالتباس وانما نذكر ذلك تقريباً للاذهان . فاستعنتُ بالله الرحمن الرحيم واعتصمتُ (f. 71r) به من الشيطان الرجيم . ورتّبتُ الرسالة خمسةَ عشر فصلًا (كما سترى)

الفصل الاول

في الكلام على مذهب النصارى بوجهٍ كلي

اعلم انّ النصارى اتّفقوا على ان الباريْ تعالى جوهرٌ واحد ذو ثلاثة اقانيم آب وابن وروح قدس . ويؤيده العقل والنطق . امّا العقل (f. 71v) فان كان عاقلًا يَعلم ان الباريْ تعالى موجود لأن العالم مخلوق ولهُ مؤثر ولا بدّ من الانتهاء الى موجود ليس له مؤثر والّا لزم الدَّوْر والتسلسُل وهما مُحالان

وهذا الموجود امّا ان يكون قائمًا بنفسه وامّا الى غيره مفتقرًا . والاوّل هو الجوهر والثاني هو العرَض . والثاني باطل لانهُ يستحيل ان يكون للباريْ تعالى عرض قائم بغيرهِ والّا لكان ممكناً وكلُّ ممكن فهو حادث والباريْ قديم . واذ

بطل الثاني وهو العرض ثبت الاول وهو الجوهر

ثم هذا الجوهر لا كالجواهر المخلوقة البسيطة لانهُ خالق لها وما كان خالقاً لهـا فهو غيرها والّا لزم احد الامرين امّا ان يكون الشيء فاعلًا لنفسهِ وهو باطل . وامّا ان يكون فاعلهُ وفاعلها شيئاً آخر . والكلام في الآخر كالكلام فيه ويلزم منهُ التسلسل والتسلسلُ مُحال . والفلاسفة وافقوا النصارى في ذلـك وهو جعلُهم البارئ تعـالى جوهرًا . امّا أَنهُ عرض فيتَعالى على ذلك

وهذا الجوهر اما ان يكون حيًّا او غير حي . والحيّ اشرف من الغير حيّ والبارئ تعالى اشرف الموجودات فخصَصْناهُ باشرف الاقسام . ثم هذا الحيّ امّا يكون ناطقاً او غير ناطق . (اي النطق المتولّد من العقـل لا ما يعتقدُهُ العـامة اذ النطق اللساني مستحيل) . فحاشى ان يكون البـارئ غير ناطق لان الغير الناطق أَبكم وحاشى لجلالتهِ من ذلك . وهذا الوجه في اثبات الاقانيم اجود ممّا قاله مطران نصيبين [١] فان ما قاله يستحيل . حاشى ان يكون النطق غير ناطق . ويلزم على هذا التقدير ان يكون البـارئ تعالى جسماً لانهُ خالق الاجسام ويستحيل ان يكون خالق الاجسام ذا جسم (f. 72r)

واذ دلّنا البرهانُ على ان البارئ تعالى قائم بنفسهِ حيّ ناطق فسمَّينا ذات البارئ اباً . ونطقهُ اي حكمتهُ ابناً . اي انهُ متولد من الذات كما يتولد النطق من العقل من غير انفصال لا من مباضعة وجمـاع كما سبق الى الاوهام العاميَّة . وحياتهُ روح قدس . فالنطق متولد من الـذات وروح القدس منبعث من الذات وسمَّينا الاب والابن وروح القدس اقانيم

ومعنى الاقنوم الصفة الجوهرية التي لا يفتقر وجودها الى وجود جوهرٍ اخر كالحيثيَّة والناطقية . فانهما لا يَجرَّانِ معهما شيئاً آخر بخلاف القادريَّة فانها تستدعي مقدورًا عليهِ والّا لما كان قادرية اذ لا يقال قادرٌ الّا بالاضافة الى مقـدور عليهِ ولا مقدور عليهِ الّا بالاضافة الى قادر . واعلم ان هذا التعريف للاقنوم أَجود ما عُرِّف بهِ ولم أَطّلع عليهِ الّا بعد جهد شديد والّا فبعضهم قال « يدلُّ على الوجود بالذات . الذي قوامه خاصّي لهُ اعني الشخص » وهو باطل لان كل شخص مشارٍ اليـهِ متميّزٌ في الخارج

١) راجع الحاشية على التوطئة

والاقنوم ليس كذلك. وبعضهم قال « الاقنوم يدلّ (f. 72v) على الوجود المطلق اعني الجوهر». وهذا التعريف ليس مقسوم على القنوم (لأن الجوهر واحد والاقانيم ثلثة) فثبت ان ما ذكرناهُ في تعريف الاقنوم اولى بما عرَّفوهُ بهِ.

وانما قلنا انَّ هذه صفات جوهرية . والَّا لزم إن تكون صفاتٍ عرَضيةً وكان نطق البارئ وحياتهُ داخلًا عليهما الاعراض وهو محال . وهذه الثلاثة الاقانيم جوهرها واحد اي ذاتها. فلهذا نقول للبارئ إله واحد ونَصفهُ بثلاث صفات جوهرية آب وابن وروح قدس ولا يلزم ان يكون ثلثة آلهة. وليس لنا مثال يمثّل به في الخارج إلا علمتَ فيما تقدّم بان جوهره غير جوهر المخلوقات وانما نذكر من ذلك مثال مقارنة ليتأسس بها المبتدئ. إنّا نقول عقل الانسان ونُطق الانسان وحياة الانسان ونشير الى إنسانٍ واحد لا ثلثة أناسيّ . فهذا ما تهيأ ذكره من جهة العقل

وامَّا النقل فان الانجيل الطاهر والكتب الالهية مصحوبةً[1] تذكر الصفات الثلاثة . وانَ الكلمة والروح كل واحد منهما إلاه. لكن آثرنا الاختصار هرباً من التطويل . ونحن نذكر مبدأً من ذلك لتعلم انّا لم نقتصر على العقل دون النقل ولا على النقل دون العقل . فنقول امّا الانجيل الطاهر فجاء فيه ان السيد المسيح قال لتلاميذه: أَعمدُوا الامم باسم الآب والابن والروح القدس (متّى ٢٨ : ١٩) . وايضاً قال: «في البدء كان الكلمة والكلمة عند الله وإلهاً لم يزل الكلمة». هو في (f. 73r) (البدء) كان عند الله وخلوا منه لم يكن شيءٌ ممّا كان من المخلوقات (يوحنّا ١ : ١—٣). وقال: «أنا والآب واحد وانا في الآب والآب فيَّ» (يو١٠ : ٣٠و٣٨). «ومن رآني فقد رأى الآب» (يو١٤ : ٩). «وليس يقدر يأتي الى الآب الّا بي» (يو١٤ : ٦). ومن لا يؤمن بالابن ولا بالآب يؤمن. وقال ايضاً للرسل: «إقبلوا الروح القدس. وان حللتم لقوم خطاياهم فقد حُلّت» (يو ٢٠ : ٢٢) . وقال ايضاً : «من لم يولد من الماء والروح لا يدخل ملكوت السماء» (يو ٣ : ٥). واما كتب الانبياء فقال داود النبي: «بكلمة الله خُلقت السموات والارض» (مز ٣٣ : ٦) . وقال ايضاً: «أَرسلَ كلمتهُ فشفاهم ونجاهم من الهلاك» (مز ١٠٦ : ٢٠) اعني ذرّية آدم . وقال ايضاً : «الكلمة الله أمجّد» (مز ٥٥ : ١١) . وقال سليمان بن داود : «من قبل ان تكون التلال كلّها خلقني»

[1] وجاء في المخطوط : مسحوبة

(امثال ٨ : ٢٥) . وقال ايضاً : «قُل لي من صعد الى السماء ونزل . من أمسك الريح بقبضته ومن صيّر الماءَ في منديل ومن اقام أقطـار الارض . ما اسمه واسم ابيه ان كنتَ تدري» (امثال ٣٠ : ٤) . وجاء في العتيقة ذكر الثالوث : «انا إله آبائك إله ابراهيم إلهاسحاق إله يعقوب» (خروج ٣ : ٦) . وقال داود النبي : «تُرسل روحك فيُخلقون» (مز ١٠٣ : ٣٠) . وقال ايوب الصديق (٣٣ : ٤) : «روحُ الله خلقني» . وقال يوحنـا المعمدان : « انا اعمدكم بالماء للتوبة والذي يأتي بعدي هو قبلي يعمدكم بروح القدس والنار » (متى ٣ : ١١) . وفي هذا كفاية

الفصل الثاني

في الاشكالات الواردة على هذا الكلام

(احدُها) : ان قولكم للباريءِ تعالى جوهراً باطلٌ لان الجواهر متحيّزة . فلو كان الباريءُ تعالى جوهر لكان القول بان البـاريءَ تعالى (f. 73v) جوهر متحيّز وهو مستحيل . فالقول بانهُ جوهر باطل . (وثانيها) : انَّ الجواهر متماثلة فاختصاص جوهر الباريءِ تعالى بالالهية إن كان لفاعلٍ رجَّحه على باقي الجواهر فلا يكون إلهاً . وإن لم يكن لفاعلٍ رجَّحهُ فقد لزم الترجيح لا لمرجّحٍ وهو محـال . (وثالثها) : إن الجوهر محدودٌ لاننا نقول ان الجوهر موجود لا في موضوع . فلو كان الباري تعالى جوهراً كان محدودًا وكُنهُ حقيقة الباري تعالى لا يُحَدّ . (ورابعُها) : لقائلٍ يقول : الجوهر القديم امَّا ان يكون مختلفاً او غيرَ مختلف . والاوَّل باطـل والَّا لزم انْ يكون حقيقة الباري تعالى مختلفة . فاذا ثبت هذا فنقول ألاقانيم الثلثة التي هي الابُ والابن والروح القدس مختلفة ام لا . فـان كان الاول لزم ان يكون ما هو مُختلف غير مختلف . وبينهما تناقض . وان كان الثاني فمحال لان الحيثية غير الناطقيَّة . فثبت ان الجوهر هو الموصوف وان الاقانيم هي الصفات . وحقيقـة الموصوف غير حقيقة الصفة

﴿الجواب عن الاوَّل﴾ : انَّا لا نريد بالجوهر الجوهر المشهور بـل الجوهر الذي وجودهُ من ذاتهِ . ولهـذا قالت النصارى : جوهر لا كالجواهر وبهذا تندفـع الاشكالات الاربعة — فان (قيل) الشكُّ بعـدُ باقٍ لان قولك جوهرٌ لا كالجواهر يلزم منهُ ان يكون الباريءُ تعالى محدودًا لان قولك جوهرٌ يشترك فيهِ ذات الباريءْ

وباقي الجواهر . وقولك لا كالجواهر فَصْلٌ يميزه (f. 74[r]) ولا معنى الحدّ عند الفلاسفة الّا هذا . (قلنا) لا شك ان قولنا كالجواهر قيد سلبي . والقيد السلبي لا يوجد في الذات فلا يلزم ما ذكرت

﴿ والجواب على الثاني ﴾ لا نسلّم ان الجواهر متماثلة لان بعضها يدخل في مقولة الكمّ وبعضها في مقولة الكيف ونحوها . فلو كانت متماثلة لاتّفقت تحت مقولة واحدة

﴿ والجواب عن الثالث ﴾ قد تقدّم وهو ان «لا» حرف سلب . والقيد السلبي لا يُوجِد تميزٌ هكذا

﴿ والجواب عن الرابع ﴾ هذا الاشكال غير لازم لانا نقول ان الجوهر هو الاقانيم ولا الاقانيم هي الجوهر . وما مثل هذا الّا مثل من قال: يوحنا فيلسوف ويوحنا طبيب ويوحنا نحوي . ولا يلزم ان حقيقة حنًّا مختلفة لاجل اختلاف صفاتهِ . وبتقدير تسليمهِ فانهُ يجوز ان يقال الشيء انهُ مختلف وانهُ غير مختلف باعتبارٍ كما تقول «الخمر مسكر» ان اردتَ وقت شربهِ و«الخمر ليس مسكرًا» اذا اردتَ بهِ كونهُ في الخابية

الفصل الثالث

فيما ذهبَ اليهِ الملكيّة

اعلم انّنا نحن الملكية نعتقد ان السيد المسيح مولود من مريم اقنوم واحد إلهي . ذو طبيعتين طبيعة الهية وطبيعة بشرية . ومشيئتين مشيئة الهية ومشيئة بشرية . وفعلين فعل الهي وفعل بشري . وانهُ حلّ بدن العذراء مَرْتمريم (١ واتّخذ طبيعة ناسوتية ومشيئة ناسوتية وفعلًا (ناسوتيًّا) ولم يؤخذ اقنوم لانهُ اتّخذ طبيعة عامة مجردة عن الاقانيم (74[v]) لان الطبيعة الالهية والبشرية اتحدا باقنوم واحد . وان الابن اي الكلمة اتحد اتحادًا ظهورياً كاتحاد النار بالحديد . فنذير البرهان على واحدٍ واحدٍ من هذه الصفات

اما الدليل على انهُ اقنوم واحد لا غير فمن وجوه كثيرة . (أحدها) لو لم يكن

١) اي سيدتي مريم من السريانية ܡܪܬܝ ܡܪܝܡ

السيد المسيح اقنوماً واحدًا لما كان الاتحـاد وقت بشارة ملاك الله مريم . والتقدير خلافهُ . (وثانيها) ان السيد المسيح قال لتلاميذه(متى ٢٨ : ١٩) : «أعمدوا جميع الامم بسم الاب والابن والروح القدس»فعلمنا من هذا الكلام ان ليس لهُ غير اقنوم واحد وانا إن جعلنا لهُ اقنومين كما ذهب اليهِ مَن نذكرهُ لزم ان يكون لا ثلاثة اقانيم بل أربعة : اقنوم الآب واقنوم روح القدس واقنوما الابن فنكون مخالفين الانجيل الطاهر . (وثالثها) لو لم يكن اقنوماً واحدًا وكان اقنومين لكان يكون اتحـاده بطبيعةٍ مُشخَّصَة . والسيد المسيح انما اتحد بطبيعة عامّة اي طبيعة الانسان مطلقاً (١ ليُخلّص جنسَ الانسان من عبودية الشيطان . ولو كان اتّحاده بطبيعةٍ مُشخَّصةٍ لما خلّص الا شخصاً واحدًا . والكتب الالهية قد شهدت لخلاص جنس البشر

واما الدليلُ على كونه طبيعتين فمن وجوه . (أحدها)ما يُقال الينـا بالتواتُر انهُ أكل وشرب . وانه حُبل بهِ وولد وخُتن لثمانية أيام وكان جسماً ذا طولٍ وعرضٍ وعمق (f. 75r) مصلوب مدفون . وهذا من لوازم الطبيعة البشرية . ثم نظرنا فوجـدنا الحبَلَ من غير مباضعة وانهُ وُلـد من غير (أن) يُدخلَ على عُذرَةِ والدته . وانهُ تكلم في المهد في اوَّل مدّةٍ (٢ . وأن آياتهِ كانت تظهر على الفَوْر وان عند صلبه اظلمت الشمس والقمر وتساقطت النجوم وتشقّقت الصخور وانفتحت القبور وقامت الموتى وانشق سِتْر الهيكل . ثم رأيناه يذكر عن نفسه في الانجيل الطاهر تارةً انهُ انسان وتارةً انهُ إله . فعلمنا من هذا ان لهُ طبيعتين

واما الدليل على كونهِ ذا مشيئتين فانَّا رأيناه قد خلّص آدم وذرّيته من الموت وجعل للصّ اليمين حظًّا معهُ وكان كل ما شاء يكون وهذا صار على مشيئةٍ إلهية . ثم رأيناه عند الصليب (في صلاتهِ في بستان الزيتون) يقول (لوقا ٢٢ : ٤٢) : «يا أبتاه ان شئت أن تُجيز عني هذه الكأس لكن لا كمشيئتي بل كمشيئتك» . ومن المعلوم ان

١) ليس هذا القول سديدًا فان السيّد المسيح لم يتّحد بطبيعة عامّة لانّ الطبيعة العامّة لا وجود لها الّا نظريًّا وانما اتحد بطبيعة مفردة خاصّة شبيهة بطبيعتنا ذات نفس وجسد كاملَين الّا انّ تلك الطبيعة لم تتّحد باقنوم بشري بل باقنوم ابن الله ولا يمنع اتحادهُ مع طبيعة مفردة ان يخلّص جنس الانسان من عبوديّة الشيطان بفعل اقنومهِ الوحيد (المشرق)

٢) كلام السيّد المسيح في المهـد لم يروَ في الاناجيل الصادقة بل في الاناجيل المصنوعة كانجيل الطفولية وقد رواه القرآن في سورة آل عمران (المشرق)

هذا صادر عن المشيئة الناسوتيَّة

واما الدليل على كونهِ لهُ فعلان فهو انَّا رأيناه اذا أَراد فَعَلَ ما فعلهُ من ابتهالٍ وطلبةٍ لا كما فعل باقي الانبياء بل كان يقول للشيء كُن فيكون مثل تنقية الابرص وفتح أعين العميان وانهاض المخلَّعين واقامة الموتى . وكل عاقل يعلم ان هذه صادرة عن فعل الهي . ثم رأيناه يصوم ويصلّي ويأكل . فهذه افعال بشرية

فان (قيل) هذا الكلام فيه نظر من وجوه أحدهـا كيف يجوز اتحاد القديم بالمُحدَث وكيف يجوز حلول اللاهوت بالناسوت ولو جاز ذلك لكان اللاهوت مُتحيزاً . وكان يَلزم محذورٌ آخر وهو ان الصلب والأَلم دخلا على اللاهوت مع الناسوت المتحد به

(والجواب) انما اتحاد القديم بالمُحدث جائز كما جاز حلولُ النفس الناطقة بالبدن والنفس قديمة (١ والبدن محدث . واَمَّا قول المعترض « يلزم من اتحـاد اللاهوت بالناسوت تحيُّز اللاهوت» فباطل . لانهُ لا يقول ان اللاهوت اي الكلمة فارقت للوالد لها وحلّت وانما كان حلولها ووصلُها بالناسوت كما تُوصلُ النَفس بالبدن وهي ليس في داخل البدن ولا في خارجهِ . واما قولهُ «لو شئت هذا لزم ان يكون الصلب والآلام داخلة على اللاهوت» فباطلٌ ايضاً . لان الاعراض لا تدخل ولا تؤثر الَّا فيما هو قابل للأَعراض وانما القابل لها الناسوت فان الانسان تركب من نفسٍ ناطقة وجسمٍ حيواني . ثم المرض الذي ينال الجسم لا ينال النفس ولا ينادى اليهِ بالعكس . فكما جاز ذلك في حق النفس التي هي أقل بساطةً من اللاهوت بل ليس بهما تقايُس فكم بالأَولى ان يكون اللاهوت

١) ان نفس كلّ انسان تخلَقُ وقت تركيب الجسد وقول المؤلف ان النفس قديمة هو زعم فاسد «ذهب اليه افلاطون الفيلسوف واوريجانس الشهير» لان النفس ليست روحاً محضاً كالملائكة بل خُلقت لتتحد بجسد ومن ثمَّ هي عاجزة عن اصدار افعال عديدة عند تجردها من الجسد فلذلك قال القديس توما الاكويني ان مفارقة النفس للجسد امر مضاد لاقتضاء طبيعتها :

Sed esse separatam a corpore est præter rationem suæ naturæ et similiter sine conversione ad phantasmata est ei præter naturam et ideo ad hoc unitur corpori, ut sic operetur secundum naturam suam. *S. Thomas : Sum: theol. I, q.* 89, *art. I — I q.* 118, *art.* 3. *I* ², *q.* 6 *art.* 4.:

فان قيل كيف يقولون: المسيح صُلب والمسيح مُركَّب من طبيعة الهية وطبيعة ناسوتية . ثم يقولون اللاهوت لا تؤثّر فيه الآلام . فان لم يكن اللاهوت صُلب لا يصحّ ان يقال المسيح صُلب بل بعضُ المسيح

والجواب(f. 76r)ان الصلب والآلام نالت ناسوتَ السيّد المسيح واللاهوتُ متّحد بهِ لم يفارقه وانما لم يؤثّر فيه لانه غير قابل ذلك

(وثانيها) ان المسيح مركب من اله وانسان فكيف جاز لكم السجود له .

(والجواب) ان الاشرف اذا اتحد بالأدنى تغلّب الاشرف على الادنى فانك تقبّل الكتب الالهية وان ضمّها خشب وجلد وكلام الله والتقبيل للمجموع فلا يُمتنع من تقبيله لأجل الخشب والجلد لانَّ ما فيه من كلام الله شرّف المجموع .

(وثالثها) : انتم قلتم ان المسيح اله تامّ وانهُ مساوٍ للآب في الجوهر ومعني المساواة ان كلما صُدّق للآب صُدّق له والله تعالى ثلثة اقانيم فان كان المسيح إلهاً فلزم ان يكون له ثلثة اقانيم وحيث ليس له الا اقنوم واحد فلا يُدعى إلهاً . (والجواب) ان كلما هو لكل واحد من الآب والابن والروح القدس هو للآخر في اللاهوت من غير انفصال الّا في رتب نِسَبِها فقط (١ . لاننا اذا قلنا ابناً او كلمةً يستحيل ان تكون بلا والدها . ثم هذه الكلمة تستحيل ان تكون صادرةً من غير حيّ وكذا اذا قلنا الاب والروح القدس . فقد ظهر مما ذكرناه ان كلما ذكرت واحدة من هذه الصفات

١) ان الاقانيم الالهية لا تفرق بعضها عن بعض الّا في النِسَب الاصلية وفقاً لتعليم اللاهوتيين وهذا ما يتضح جليّاً من قانون الايمان المنسوب للقديس اثناسيوس : ان الاب لم يَصْنَعهُ أحدٌ لم يُخلَق ولم يُولَدْ . والابن من الاب وحده لم يُصنَعْ ولم يُخلَقْ بل وُلد. والروح القدس من الاب لم يُصنع ولم يُخلَق بل ينبثق :

Ὁ Πατὴρ ἀπ᾽οὐδενός ἐστι πεποιημένος, οὔτε δεδημιουργημένος, οὔτε γεγεννημένος. ὁ Υἱὸς ἀπὸ μόνου τοῦ Πατρός ἐστιν, οὐ πεποιημένος, οὐδὲ δεδημιουργημένὸς ἀλλὰ γεγεννημένος. τὸ Πνεῦμα τὸ ἅγιον ἀπὸ τοῦ Πατρός, οὐ πεποιημένον, ἀλλ᾽ ἐκπορευτόν.

واعلم ان القديس اثناسيوس قال ان الابن هو من الاب وحده لكنه لم يَقُل ان الروح القدس من الاب وحده بل من الاب . وهذا ردٌّ على من يعترض ان الروح القدس لا ينبثق الّا من الاب مستنداً الى هذا النصّ . فيكون برهانهُ كبرهان من يقول ان الايمان وحده يخلص الانسان طبقاً لقول الكتاب المقدس «من آمن يخلُص». ومن البين ان هذه حجّةٌ باطلة لان الرسول لم يقل بالايمان وحده يخلص الانسان

الجوهرية دلّ على الثلاثة وبه يندفع الشك . فان قال قائل أما قلتم ان الابن اي الكلمة مساوٍ للآب والروح . (والجواب) ان الفرق بين الآب والروح القدس وبين الابن في امتناع الاتحاد بين الآب والروح وغير امتناعه في الابن (f. 76v) كالفرق بين العقل المجرَّد والمعقول عقلًا مجرَّدًا والعاقل عقلًا مجرَّدًا . وذلك بعقل الباري عزَّ وجلّ . فلذلك جاز ان يتحد الابن وهو الذي منزلتهُ منزلة العقل المجرَّد . فقد ظهر الفرق بين امتناع الحلول في الاب والروح وامكانهُ في الابن(١

ورابعها : المسيح اختار الصلب ام لا والاول باطل لانه قال في الصلب : «ابتاه ان شئت ان تجيز عني هذه الكاس فافعل» . فهذا دليل على انه لم يحبّ الصلب ولو صحّ ذلك لكان اليهود غير مخطئين فيما فعلوا . لانهم فعلوا ارادتهُ . فما بالكم تنسبون اليهم قُبحَ الفعل و تُوَنّبونهم . والثاني ايضاً باطل والّا لما استحق ان يُدعى الهاً لانهُ قد فُعل بهِ ما لا يختار

(والجواب) ان للمسيح طبيعتين الهية وبشرية . فالذي لم يختر الصلب وقال : « ابتاه ان شئت تجيز عني هذه الكاس فافعل » هو الناسوت لانه قابل الفزع والتأثير . واللاهوت لم يكره ذلك لانه غير قابل الفزع ولا لغيره . فاما اليهود وان كانوا لم

١) هذه عبارات مبهمة مضطربة لعلَّهُ وقع في نسخها غلط وهي تقتضي شروحات لان الاب والابن والروح القدس ثلاثة اقانيم غير مختلطة بل متميزة بعضها عن بعض . والاقنوم في هذا السر الفائق الادراك هو نسبة جوهرية الى الاقنوم الآخر اذ انهُ تعالى جلَّ جلالُه خالٍ من الاعراض . فالنسبة الجوهرية في الاب هي انهُ يلد الابن ازليًّا ولادةً روحيةً لا يدرك كُنهَها عقلُ الخليقة الانسانية ولا الملائكية . والنسبة الجوهرية في الابن هي انهُ مولود من الاب قبل كل الدهور . والنسبة الجوهرية في الروح القدس هي انهُ ينبثق من الاب بواسطة الابن كمن مصدر واحد

ἐκ τοῦ Πατρός διὰ τοῦ Υἱοῦ ἐκπορεύεται τὸ Ἅγιον Πνεῦμα ὡς ἐκ μιᾶς ἀρχῆς

فالغاية المقصودة من المؤلف ان الاب لا يختلط مع الروح القدس بل يمتاز عنهُ اعتبارًا لاقنومه لكن الابن يتحد مع الاب كاتحاد المعقول مع العقل وان كان متحدًا بالطبيعة الالهية مع الاب كالروح القدس فهو يمتاز عنهُ اعتبارًا لاقنومه بَيدَ ان الثلاثة الاقانيم موجودة بعضها في البعض فالابُ موجودٌ في الابن والابنُ في الآب وكلاهما في الروح القدس وكذلك الروح القدس موجود في الاب والابن هذا ما يسميه آباء الكنيسة اليونانيون Περιχώρησις وما يعبّر عنهُ آباء الكنيسة اللاتينيون بلفظة Circuminsessio

يفعلوا ما كرههُ لكنّهم لم يقصدوا به خيرًا بل شرًّا . والخير انما كان بطريق العرض . ألا ترى انك لو أعطيت لبعض اخوتك سمًّا قاتلًا وايقنتَ بتلفه جزمًا واعتقبهُ نفعٌ عظيم ثم علم انّ غرضك كان تلفهُ أترى تكون عنده مخطئًا أم لا . فكما هو جوابه في هذا المقام هو (f. 77r) جواب النصارى .

(وخامسها) انتم قلتم ان الكلمة انما اتحدت بجسد المسيح ليُرى ويخاطَب للفوائد المشهورة لان اللاهوت لم يُرَ كما أتى به الكتاب بعد صعوده الى السماء . امّا ان يكون صعد اللاهوت فقط ولا يُقال ان المسيح صعد الى السماء بلاهوته لان المسيح عبارة عن اللاهوت والناسوت كما تقدم . وامّا ان يكون صعد الناسوت فقط وهو خلاف ما تعتقده النصارى . وان كان صعد اللاهوت بالناسوت فما الفائدة بصعود الناسوت لان الحاجة الداعية هي مخاطبة الناس . فقد ارتفعت مع ان الانجيل الطاهر يقول : « ما صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء »

(والجواب) الصاعد الى السماء الهٌ بالناسوت وليس فيه تناقض الانجيل المقدس . لان الكتب الالهية أخبرت ان ملاك الرب كان يأتي الى مريم من حين البشارة في كل يوم بغذاء من السماء . فكان تكوينه واغتذاؤهُ في جوف امه من الغذاء الآتي مع ملاك الله من السماء . فيكون ناسوتهُ ايضاً من السماء[1] . (والامر) جيد لا تناقض (فيه) واما قول المعترض ان الحاجة الى ذلك قد ارتفعت لان السيد المسيح لا بدّ ان ياتي في الدهر العتيد ولا ياتي الّا متجسدًا والامم تنظر واذا عُلم ان لا بدّ له من جسد يحل فيه فبالاجتماع ان هذا الجسد أولى بالحلول لانه افضل من جميع الاجساد .

الفصل الرابع
فيما ذهب اليهِ النساطرة والكلام معهم

قالوا ان السيد المسيح اقنومان اقنوم الهيّ واقنوم بشريّ (f. 77r) وطبيعتان

1) هذه الاقوال لا اصل لها في الكتب الالهية القانونية الموحاة من الله بل وردت في المؤلّفات الغير الشرعيّة (Apocryphes) التي تنكر الكنيسة المقدّسة صحّة نسبتها للرُسل الاطهار او للآباء القديسين لانها مُزوَّرة والكلام في الآية المذكورة عن الطبيعة الالهيّة لا عن البشريّة

طبيعة الهيــة وطبيعة بشرية ومشيئة واحدة الهيــة وفعل واحد الهي وان السيدة مرتمريم لم تلد الهاً بل انساناً وان اتحاد الـلاهوت بالناسوت اتحاد مجاورةٍ كمجاورة الزيت والماء في الاناء وان المسيح اله تامّ وانسان تامّ . وهذا المذهب فاسد من وجوه (احدها) قولهم ان المسيح اقنومان وهذا باطل لان الابن لم يتّخذ من مريم اقنومــاً ولم يأخذ طبيعة خاصة كما ذكرنا بل طبيعة عامة ليخلص الجنس العام (١ . وايضاً فيه تناقضٌ ما للانجيل الطاهر وفساد نظــام للتثليث اذ يقول : « عمدوهم بسم الآب والابن والروح القدس» . فيلزم على زعمهِ ان لــلابن اقنومين وللاب اقنوماً وللروح القدس اقنوماً فتــكون اربعة لا ثلاثة

(وثانيها)قولهُ بمشيئة واحدة الهيةيلزم ان قوله تعالى على الصليب (٢ :«ابتاه ان شئت ان تجيز عني هذه الــكاس فافعل لــكن لا كمشيئتي بل كمشيئتك».وكرهه للصليب وفزعُهُ منه ومن اليهود عائدٌ الى المشيئة الالهية وهذا فساد وغير خفي عن من لــهُ عقل .ومع هذا فهو مناقض لمذهبهِ ايضاً لانه يرى ان المسيح الــه تامّ وانسان تام . والانسان التام لا يــكون بلا مشيئة

(وثالثها) قوله بفعــل واحد الهي يلزم ان يــكون اكله وشربه وصلاتهُ وفزعهُ وموتهُ على الصليب عائد الى الفعل الالهي ويتعالى على ذالك

(ورابعها) (f.78r)قوله ان السيدة مرتمريم لم تلد الهاً بل انساناً مخالف لما قالتهُ الآباء الثلثمائة وثمانية عشر «وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد الذي من اجل خلاصنــا نزل من السماء وتجسد من الروح القــدس ومن مريم العذراء » وهو يعتقد الامانة وانّما كفر هذا الرجل وذهب الى المذهب الخسيف على ما لاح لظنّي . إمّا قياماً لهواه والتزاماً لما تفوّه به وامّا ان حواسهُ عميت عن ادراك الصواب فــكفر ولم يشعر

(وخامسها) انهُ يرى ان المسيح اتحد اتحادَ مجاورةٍ كاتحاد الزيت والماء في الاناء وهذا في نفس الامر ليس اتّحادًا بل حيزًا ومــكاناً

---

١) بل اخذ طبيعة خاصّة كطبيعتنا موءلّفة من نفس وجسد وانما قوامهذه الطبيعة باقنوم لاهوت المسيح (راجع ما قبل سابقاً ص٩١٨)

٢) ليس على الصليب بل في بستان الزيتون

الفصل الخامس

فيما ذهبت اليهِ اليعاقبة

اعتقدت اليعاقبة ان المسيح اقنوم واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وفعل واحد وان المسيح اتحد بان امتزج اللاهوت بالناسوت فصارا شيئاً واحداً

وهذا كلام فاسد من وجوه: (احدها) قولهم اقنوم واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وفعل واحد نقول لهم: ما هو مرادكم بالطبيعة والاقنوم والمشيئة والفعل أهو الالهي او الانساني والثاني باطل والّا فما استحق العبادة واذا بطل الثاني ثبت الاوّل. ثمَّ نقول: أتوافقونا على انَّ المسيح قبل الاتحاد طبيعة ناسوتية ام لا. فان كان الثاني فتخالفون الآباء الثلثمائة والثمانية عشر الذين قالوا عنهُ انهُ من اجلنا ($f.78^V$) نزل من السماء وتجسَّد من روح القدس ومن مريم العذراء. وان كان الاول فلا بُدَّ بعد الاتحاد ان يبقى من الطبيعة البشرية شيء ويلزمه القول بها. ثمَّ في قولهم تناقض للانجيل الطاهر بقوله (يو ٢٠ : ١٧) اني صاعد الى أبي وابيكم والهي والاهكم» وقوله (متى ٢٧ : ٤٦): «الهي لماذا تركتني». وايضاً يلزم منهُ ان كل الاعراض التي نالت المسيح واقعة باللاهوت لأن ليس لهُ طبيعة ناسوتية بل طبيعة لاهوتية. ويناقض قول داود النبي اذ يقول (مز ١٦ : ١٢): «واحدةً نطق الرب وهاتان اثنتان سُمعت». اي انَّ اقنومهُ الواحد له طبيعتان وهما طبيعة الهيَّة نطق بها الرب وطبيعة ناسوتية كذلك لهُ مشيئتان وفعلان. ويلزمه في المشيئة والفعل ما ألزَمْنا النساطرة فلا حاجة لذكره اذ كان الغرض بهذه الرسالة الاختصار وتقليل الكلام ما أمكن. (وثانيها) ان هذا الاتحاد اعني الامتزاجي لا يصدق الّا في حق الكائنَيْن كالخل والعسل وامّا في الله تعالى فلا. ويلزمهم ان يكون المسيح لا الهاً ولا انساناً لأن المتكون من شيئين ليس هو احد الشيئين فان المتكوّن من الخل والعسل لا يطلق عليهِ بعد التركيب انهُ خل ولا انهُ سكّر فيكون للمسيح (حسب) زعمهم طبيعة ثالثة

الفصل السادس

فيما ذهب اليهِ المارون والردّ عليهم(١

اعتقد المارون ان للمسيح اقنوماً واحدًا (f. 79^r) وطبيعتين طبيعةً إلهيّـة وطبيعةً بشرية ومشيئةً واحدة وفعلًا واحـدًا . وهو فاسد وكان يلزم ان يقولوا بطبيعة واحدة ويلزمهم ما لزم اليعاقبة والنساطرة في نفيهم المشيئة والفعل البشريَّين

الفصل السابع

فيما ذهبت اليهِ الارمن

اعتقدت الارمن ان طبيعتهُ واحدة وناسوته استحال الى لاهوتهِ وان جسم السيد المسيح قديم لا يقبل ألمًا ولا تغييرًا . وهذا فاسد من وجهين (احدهما) قولهم: «استحال ناسوته الى لاهوته» محالٌ ويلزم ان يكون الصلب والآلام داخـل على اللاهوت . (وثانيها) ان فيهِ انكارًا لصلبه بقولهم « لم يكن جسمه قابل التأثير» والصلب لا يلزم الّا الجسم الناسوتي لا اللاهوت وسنبيّن فساده في اثباتنا صلبهُ

الفصل الثامن

فيما ذهب اليهِ اريوس والردّ عليهِ

هو اعتقد ان الابن مخلوق محدث ثم فوّض اليهِ الآب الالوهيَّة فخلق بهِ السموات مع الارض وما بينهما . وانه اخذ من مريم جسماً ليس لهُ نفس وهـذا رأي فاسد . وبيانه ان الابن لو كان مخلوقاً وهو نطق الباري تعالى لزم ان يكون الباري تعالى غير ناطق ثم صار ناطقاً وكان قابل التغيير والانجيل الطاهر يكذبه بقوله: «في البدء كان الكلمة» . وايضاً لو كان النطق مخلوقاً لكان نُطق الباري تعالى لهُ ابتداء وما كان لهُ ابتداء لهُ انتهاء ويلزمهُ ان يكون نطق الباري مضمحلًا واثرًا (f. 79^v)

١) قد اطّلع المثلّث الرحمات المطران يوسف دريان على هذا الفصل وفنّدهُ بقولهِ انَّ قدماء المارونيَّة بمشيئة واحدة ارادوا بهِ عدم التناقض بين مشيئتي السيّد المسيح ل . ش

اعاذنا الله من هذا الاعتقاد الردي. واماَّ قوله انهُ اخذ من مريم جسماً غير متنفس وحلّ فيهِ مقام النفس فباطل والَّا لزم ان يكون المسيح غير تام في ناسوته. والتقديرُ خلافه

الفصل التاسع

فيما ذهب اليهِ مكدونيوس والردّ عليه

هو اعتقد ان الابن وروح القدس مخلوقان وان الرب لم يتخذ عقلًا انسانيًّا لكن نفساً فقط. وهذا الكلام ردي جدًّا. اماَّ قوله «ان الابن مخلوق». فقد تقدَّم بطلانه في الردّ على اريوس. واما روح القدس فلو كان مخلوقاً لكان الباري تعالى غير حيّ. ثم صار حيًّا وغيرَ ميت. وحاشى لعلوه من هذا الكلام الدنس. وفيه تناقض للانجيل المقدس اذ قال للتلاميذ (لوقا ٢٥:٧) : «اقبلوا الروح القدس. ان غفرتم لقوم خطاياهم فقد غُفرت لهم وان امسكتم على احد خطاياه فقد امسكت عليه» ومن كان بهذه المثابة ليس مخلوقاً. واماَّ قوله «ان الرب اخذ جسماً بلا عقل» فمذهب فاسد لان جسد المسيح تامّ والجسد التامّ لا يكون بلا عقل وان كانت اجسامنا التي لا تُقاس الى جسد المسيح تُنسب ان لها عقلًا فكم بالحري ان يكون جسد المسيح اذ هو اشرفُ الاجسام واجلُّها واتمها

الفصل العاشر

فيما ذهب اليهِ اوغاليوس(١ صاحب منبج والرد عليه

اعتقد هو ان جسد المسيح خيال لا حقيقة له وهذا مخالف للانجيل الطاهر اذ قال (يوحنَّا ١ : ١٤) : «والكلمة صار لحماً وحلّ فينا». وفيه انكار موته. ومن يقرأ اثباتنا صلبهُ يعرف فساد هذا الرأي

الفصل الحادي عشر

في مذهب بطرس وايلاريوس(٢

اعتقدا ان اللاهوت تعالى عن قول الكافرين صلب واضَّجع وهذا ظاهر الفساد

(١ هذا الاسم مصحَّف لم يُعرف مبتدع بهذا الاسم

(٢ ايلاريوس والارجح أيلُورس (معناها القط مشتقة من اليونانية Aἴλουρος) وكان اسمهُ تيموثاوس ايلورس. عاش سنة ٤٥٧. اماَّ بطرس فلعلَّهُ اراد بهِ بطرس القصَّار المبتدع

لا يحتاج بطلانهُ الى دليل

الفصل الثاني عشر

فيما ذهب اليه بولس المصيصي(١

قال ان المسيح انسانٌ محض وهذا فاسد وسيأتي بيان فساده في اثبات الهيَّة السيد المسيح

الفصل الثالث عشر

في ان السيد المسيح اله

فنقول ان السيد المسيح الاه لا ينكره من لهُ ذوق . وذلك انه تكلم في المهد في مدة لم تكن في قوة احد من الانبياء أن يتكلم فيها اصلًا (٢ وذلك انهُ سُمّي حكمة الله ونطقهُ . ولم يشهد كتاب ولا نقل الينا ان احدًا من الانبياء سُمّي بذلك . وكلمة الله اي جوهر مساوٍ لهُ في الجوهرية قديم خالق . وايضاً انهُ لم يُخلق من الجماع ولم يعرف الجماع . وآياته كانت تأتي على الفور ومعجزاتهُ قوّيّة من غير طلب ولا تضرُّع كباقي الانبياء بل كان يقول للشيء «كن» فيكون . وانه لم يعرف الخطيئة لا قولًا ولا فكرًا ولم يكن احد من الأنبياء بهذه المثابة . وايضاً انه صعد الى السماء وواحد من الانبياء لم يصعد . وايضاً قام من الموت بعد ثلاثة ايام وواحد من الانبياء لم يقم من الموت . واذا ثبت بهذه الحجج التي لا يرتاب فيها عاقل انه اعظم من الانبياء كثيرًا واعظم فعلًا فليس بمد درجة النبوّة الّا الالهيّة معان الانبياء الذين قد حصلت المقايسة(f. 80v)بهم شهدوا بما قلناه على ما سنبينه . فثبت انهُ الاه

ولقائل يقول ان بعض هذه المعجزات حصلت للانبياء . (قلنا) انّ كل واحد

١) اطلب ترجمتهُ في المشرق ١ [١٨٩٨] : ٩٩١–٩٩٥

٢) سبق القول ان كلام السيّد المسيح في المهد منقول عن روايات مصنوعة

منهم اختصّ بمعجزة او معجزتين من هذه المعجزات لكن مجموعها ما اجتمع في واحد منهم . ولنذكر بندأ من الانجيل الطاهر ومن كتب الانبياء ليقوى بهِ احتجاجنا على اثبات الالهية. امَّا الانجيل الطاهر فقولهُ (يوحنَّا١٤ : ٩—١٠) : « انا في الآب والاب فيَّ . ومَن رآني فقد رأى الآب» وايضاً (يوحنَّا١٠ : ٣٠) « انا والآب واحدٌ». ولَّما قالت اليهود: انت قلت انك ابن الله ما أنكر ذلك وقال لقيافا (متى ٢٦ : ٦٤) : «انت قلت» . ولما قال له بطرس (متى١٦ : ١٦—١٧) : « انت ابن الله » ما انكر ذلك عليه بل مدحه وقال : « ان هذا اعلان من الله». وامَّا الانبياء فقال داود النبي (مز٨٦ : ٥) «رجل اتخذ صهيون أمَّاً والرجل وُلد فيها وهو العلي الذي اسّسها» . وقال (اشعيا ٧ : ١٤) : « ان العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» وقال (اشعيا ٢ :٣) : « ان من صهيون يخرج النـاموس وكلمة الله من اورشليم». وفي هذا الكتاب كفاية لمن اراد الاختصار وكان لهُ انصاف

الفصل الرابع عشر

في انه صُلب تحقيقاً

امَّا صلبه فلا شك فيه لانهُ نُقل بالتواتر ونَقلُ التواترَ حجَّة والانجيل وكُتُب الانبياء شهدت لذلك. اما الانجيل فقال ان السيد المسيح قال لتلاميذه (٢٠ : ١٩) : « ان ابن البشر سيُسلَم الى ناس خطأة ويُصلب» وانذرهم (f. 81 r) بذلـك. واما الانبياء فقال داود النبي (مز ٢١ : ١٧) : « ثقبوا يديَّ ورجليَّ واحصوا كل عظامي وعلى لباسي اقترعوا» . وايضاً يقول(٦٨ : ٢٢) : «جعلوا في طعامي مرارة وفي عطشي سقوني خلًّا». وقال (زكريَّا ١٢ : ١٠) : « سينظرون الى مَن طعنوه » وقال آخر (مز ١٠٦ : ١٦) : « كسر ابواباً واقفـال حديد حطمها واخرجهم من الظلمة وظـلال الموت» . وقال آخر(اشعيا٥٠ : ٦) : «اعطيت خدّي للطم وظهري للجلد» وقال زكريا النبي (١ : « تعالوا نفسد بالخشبة للشريف ست ساعات وللذي لا يجب ان يُقبر يُقبر اي بالناسوت ويقطر من اللحم دم وماء». وقال (اشعيا ٥٣ : ٥) : «هو تالم من اجلنا»

١) هذه الآية ليست في نبوّة زكرياً

الفصل الخامس عشر

في قيامته وصعوده الى السماء

كان قيامه وصعوده الى السماء عياناً لا يحتاج الى برهان عقلي . ولو لم يقم ويصعد الى السماء لما صح قول عزرا النبي(١ :« متى يقوم وفي الاموات تظهر الحياة ومن الارض الى السماء يصعد وعن ميامن العلي يقيناً يوجد. لانه كان من قَبْل القَبْل ولد» وقال يوئيل النبي (٢ : « تعالوا نمضي الى الرب الذي ضربنا وهو يشفينا . وفي اليوم الثالث يقوم ونحيا معه» وقال داود النبي (مز ٢٣: ٧) : « ارتفعي ايتها الابواب الدهرية ليدخل ملك المجد» وقال (مز ٦٧: ٢) :« يقوم الله وتتبدد جميع اعدائه» وقال (مز ٤٣: ٢٦) :« قم يا رب وخلصنا» وقال :« قم يا رب ولا تنم»

واذ قد اثبتنا بما وعدنا من انبيائه ببراهين عقلية واجوبة منطقية فتمّت الرسالة بعون الله وحمد ذي الجلالة ونسأل (f. 81 v) قارئها ان يتجاوز عما يجده من ضعف العبارة وعدم النظام والتقصير في الكلام والحمد لله ذي الكمال والتمام والسبح لله دائماً . تمّت الفصول الخمسة عشر والحمد لله على ما انعم به

اللهم بشفاعة قديسيك وشفاعة مرتمريم والدتك اغفر واصفح واترك واعفُ عن مآثم وهفوات الناسخ المسكين وخطايا والديه آمين

---

١) ليس هذا في سفري عزرا القانونيّين وقد ورد في جملة اسفاره المصنوعة (المشرق)

٢) ليس هذا من نبوّة يوئيل بل من نبوّة هوشع (٦: ١-٣)

فهرس

مقالات الكتاب

AVIS

Les trois Traités que nous publions ici ont parus dans notre Revue arabe *al Machriq*. Ce sont de précieux restes de Polémique et de Théologie chrétiennes, qui méritaient d'être tirés de l'oubli. Le premier remonte au VIII[e] siècle : c'est un exposé de la doctrine chrétienne faite par Thimothée I, patriarche nestorien surnommé le Grand (779—823), en présence du Calife Abbasside al-Mahdì père du fameux Harouu ar-Rachìd. Le Patriarche répond aux questions du prince et réfute victorieusement ses objections.

Le 2[e] Traité est plus important. Il contient en sept Séances remarquables la défense du Christianisme, par le fameux métropolitain nestorien de Nisibe, Elie Bar Schinaia (1008—1049), en réponse aux questions d'un grand personnage, gouverneur musulman de Diarbékir et de Mayyafarqîn. Il lui expose les principaux Dogmes chrétiens et satisfait à ses difficultés. La 6[e] séance roule sur les qualités de la langue syriaque et ses avantages sur l'arabe.

Le 3[e] Traité plus récent est du Cheikh ʿAfîf ibn al-Mouʿammel, auteur melchite du XII[e] ou XIII[e] siècle. L'Archimandrite Elie Batarekh, prêtre melchite, l'a copié sur un Ms de la Bibliothèque des Grecs Orthodoxes du S[t] Sépulcre. En 16 chapitres assez courts, l'auteur donne un abrégé des Dogmes chrétiens et réfute les anciennes hérésies.

Beyrouth, 10 *Avril* 1923

TROIS TRAITÉS ANCIENS

DE POLÉMIQUE

ET DE THÉOLOGIE CHRÉTIENNES

PUBLIÉS PAR

le P. **LOUIS CHEIKHO** s. j.

et l'Archimandrite **ELIE BATAREKH**

I

(*tirés de la Revue al-Machriq*)





BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1923

